

التوسل إلى الله

محمود عرفان

مركز الآفاق للدراسات


بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

مركز الآفاق للدراسات

اسم الكتاب...التوسل إلى الله

تأليف..................................... ....محمود عرفان

الناشر...............................مركز الآفاق للدراسات الإسلامية

الطبعة.......................................الأولى، ذي الحجة/ ١٤٢٥ هـ

إيران / قم المقدسة / ت: ٧٧٤٨١٤٥ / فاكس: ٧٧٣٠٣٨٠ / ص.ب: ٥٩٨- ٣٧١٨٥
e-mail: alafaqcenter@yahoo.com

التوسل إلى الله

تاليف

محمود عرفان





الفصل الأوّل

بركات ومصاديق التوسل إلى الله بمحمد وآله صلى الله عليه وآله

نسعى في هذه المقالة ـ مستعينين بالله تعالى ـ إلى الإستضاءة بالنصوص الشرعية للتعرف على آثار ومصاديق التوسل بأحدى أهم وسائل التقرب من الله جلّ وعلا والفوز بالحياة الكريمة في عزّ جواره ـ جل وعلا ـ: ألا وهي وسيلة أهل بيت النبوة التي حثّت على التقرب بها إلى الله النصوص الشرعية وبلغة مشددة ـ داعين الله عز وجل أن تكون معرفة ذلك مقدمة للعمل، فالعمل بما علم هو مفتاح توريث الله العامل علّم ما لا يعلم.

ونبدأ أولاً بتحديد المقصود من مفردتيه الأساسيتين وهما «التوسل»، و«أهل البيت» صلوات الله عليهم أجمعين.

التوسل :

وهو اتخاذ الوسيلة توصّلاً إلى شيء والوسيلة: ((التوصّل إلى الشيء برغبة وهي أخص من الوصيلة لتضمّنها لمعنى الرغبة)).[١]

وحيث إن ((التوسّل)) على وزن ((تفعّل)) فهو يدل على المطاوعة أي أنّ اتخاذ الوسيلة يكون بالإختيار وطواعية دون إكراه: ((فيقال وسّلتُ له إلى الله وسيلة فتوسّل بها، أي جعلت لـه في السير إلى الله تعالى وفي طلب قربه ورضاه وسيلة، فأطاع واختار الوسيلة وتمسك بها))[٢] : كما تتضمن الوسيلة معنى التقرب فهي: ((ما يتقرب به إلى الشيء والواسل الراغب إلى الله ... ووسّلت إلى الله تعالى بالعمل من باب وعدت رغبت إليه وتقربت منه...))[٣].

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني، طبعة مؤسسة إسماعيليان، قم إيران، المصورة عن الطبعة المصرية: ٥٦٠.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن، السيد حسن المصطفوي، (١٣ـ٤٠): ١٠٨، طبعة وزارة الإرشاد في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

(٣) مجمع البحرين: للشيخ فخرالدين الطريحي: ٤٥٨. الطبعة الحجرية القديمة (بتقديم وتأخير).

وقيل أيضاً: ((إن الوسيلة: المنزلة عند الملك والدرجة والقربة، ووسّل إلى الله وسيلة إذا عمل عملاً تقرب به إليه، والوسيلة الوصلة والقربى وما يتقرب به إلى الغير ... وتوسّل إلى ربه بوسيلة: تقرب إليه بعمل...)).[١]

يتّضح من التعاريف اللغوية المتقدمة أن التوسّل لغوياً هو فعلٌ طوعي اختياري يقوم المتوسِّل فيه بالإستعانة بوسيلةٍ معينة وبرغبةٍ تجعله يتمسّك بها بقوةٍ لكي توصله إلى القرب والحظوة عند من يريد التقرب منه ويرغب في أن يكون مقرّباً ومرضياً عنده.

التوسّل إلى المطلوب سنّة طبيعية :

وهذا التوسّل سنّة طبيعية يقرها العقل السليم وتشهد لها تجارب الحياة، فكل من يطلب الحظوة بشيءٍ أو الحصول على شيءٍ يجب عليه أن يتخذ وسيلة توصله لـه، فالذي يطلب العلم عليه أن يتوسّل لـه بالوسائل الموصلة لـه من الدراسة والسؤال والمطالعة

---

(١) تحقيق عن لسان العرب: ١٠٨، ثم عن مصابيح اللغة. التحقيق في كلمات القرآن(١٣_١٤): ١٠٨ عن لسان العرب ثم عن مصابيح اللغة.

وغير ذلك، وكذلك من يطلب المال عليه أن يسعى لـه بالمتاجرة وأمثالها، والذي يطلب القربى والزلفى لدى شخص معين ـ وهذا هو المعنى اللغوي الخاص للتوسّل ـ عليه أن يتخذ الوسائل الكفيلة بتقريبه من ذلك الشخص مثل إظهار المودة لـه والإخلاص في خدمته أو تعريفه بكفاءات خاصة فيه تنفع الشخص الذي يتقرّب منه أو تظهر الإنسجام فيما بينهما أو التحلي بما يحبّه هذا الشخص والتنزّه عما يكرهه ونظائر ذلك والمهم في كل ذلك أن تكون الوسائل المتخذة موصلة حقاً إلى المقصد والهدف الذي ينشده المتوسّل وإلا لم يوصله توسّله بما سوى إلى السراب أو إلى ما لا يريده ولا يرغب فيه.

القرآن يأمر بابتغاء الوسيلة إلى الله :

وقد أمر الله تبارك وتعالى بالتوسّل إليه وأثنى على المتوسّلين إليه فقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١]، وقال: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾[٢].

الآية الأولى لا تأمر باتخاذ الوسيلة إلى الله وحسب بل بابتغاء الوسيلة إليه جلّ وعلا، والإبتغاء هو من ((البغي)) وهو يعني: ((الطلب الشديد الأكيد، والإبتغاء إختيار هذا الطلب))[٣] و((البغي على حزبين: أحدهما محمودٌ وهو تجاوز العدل [يعني حدّ الإقتصاد] إلى الإحسان، والفرض إلى التطوع، والثاني مذمومٌ وهو تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشُبه ... وأما الإبتغاء فقد خصّ بالإجتهاد في الطلب، فمتى كان الطلب لشيءٍ محمودٍ فالإبتغاء فيه محمودٍ نحو: **إبتغاء رحمة من ربك... إلا ابتغاء وجه ربّه الأعلى** ...))[٤].

---

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) الإسراء: ٥٧.

(٣) التحقيق في كلمات القرآن (١٣_١٤): ١٠٩.

(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم : ٥٣_٥٤.

ابتغاء الوسيلة من أهم الأمور في السير والسلوك إلى الله :

إذن فالله تبارك وتعالى يأمر في هذه الآية المباركة المؤمنين بالإجتهاد الشديد دون حدود وعلى قاعدة ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[١] في طلب الوسائل الموصلة إليه. هذا أولاً، وثانياً فإنه جعل الأمر بالجهاد في التوسّل بعد الأمر بالتقوى وقبل الأمر الجهاد في سبيله، وفي ذلك إشارةً إلى أن هذا الاجتهاد في التوسّل إليه بما يقرب العبد منه جل وعلا ويوصله إلى رضاه إنما مظهر للتقوى من سخطه جلّت عظمته، فهو تحبب من العبد إليه تعالى بما فيه رضاه كما أن الجهاد في سبيله ـ بمعناه العام: ((الذي يعم جهاد النفس وجهاد الكفار جميعاً))[٢] ـ هو من مظاهر ابتغاء الوسيلة إلى قربه ورضاه جل جلاله. وذكره هو من باب ذكر الخاص بعد العام: ((وهذا الأمر من أهم الأُمور في مقام السير إلى قرب الله ولقائه وعلى هذا يذكر المجاهدة بعد هذا الإبتغاء، حتى يكون الجهاد

---

(١) المطففين: ٢٦.

(٢) تفسير الميزان للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ٥: ٣٢٨، في تفسير الآية الكريمة ٣٥ من سورة المائدة.

والعمل منطبقاً على الحق الواقع وأن يطابق وظيفته الشخصية[١] وفي جملة: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، إشارة إلى أهمية هذا التوسّل، فإن الفلاح عبارة عن النجاة من الشرور وإدراك الخير والصلاح)).[٢]

الوسيلة هي التحقّق بحقيقة العبودية :

وهنا نصل إلى البحث في ماهية الوسيلة التي يأمر الله تبارك وتعالى بالإجتهاد في طلب العبد لكي توصله إلى قربه والحظوة عنده وإدراك الخير الذي بيده وحده جل وعلا، قال الراغب في المفردات: ((وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة)).[٣]

ويعلّق العلامة الطباطبائي على قول الراغب هذا بالقول: ((وإذْ كانت [الوسيلة] نوعاً من التوصّل وليس إلاّ توصّلاً واتصالاً

---

(١) ومقصوده من أن يكون العمل منطبقاً على الحق والواقع وأن يطابق وظيفته الشخصية، هو أن يكون العمل موصلاً حقاً إلى هدفه وهو العبودية الحقّة لله تبارك وتعالى وقربه.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن (١٣ـ١٤): ١٠٩ـ١١٠.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٥٦١.

معنوياً بما يوصلُ بين العبد وربه ويربط هذا بذاك ولا رابط يربط العبد بربّه إلا ذلة العبودية فالوسيلة هي: التحقّق بحقيقة العبودية وتوجيه وجه المسكنة والفقر إلى جنابه تعالى، فهذه هي الوسيلة الرابطة، وأما العلم والعمل، فإنما هما من لوازمها وأدواتها كما هو ظاهر إلا أن يطلق العلم والعمل على نفس هذه الحالة ...)).[١]

نوع الوسيلة ومعيار انتخابها :

ولعل من الممكن القول بأن حقيقة الوسيلة التي تتحقّق فيها للعبد الحظوة والمنزلة الكريمة عند مولاه جل جلاله هي الرابطة التي تربطه بمولاه على قاعدة العبودية والتضرّع والتذلّل لـه جل جلاله وقد قسموا هذه الوسيلة إلى نوعين الإرادية والطبيعية: ((فالوسيلة الإرادية كالأنبياء والأئمة والأولياء المقرّبين، والطبيعية كدرجات الإيمان، ومقامات المعرفة والصفات الروحانية والأعمال الخالصة الإلهية، فإن فيها قرباً وتمايلاً إلى الحق والمتوسل بها يتمسك بالعروة الوثقى ... وانتخاب الوسيلة واختيارها يختلف باختلاف مراتب

---

(١) الميزان ٥: ٣٢٨.

الأفراد وحالاتهم ومعارفهم ودرجات طلبهم وإيمانهم، وهذا الطلب الشديد من أي جهةٍ: إما أن يتحصل بتحقيق وتدقيق وتشخيص وتعين من جانب المبتغي [للوسيلة] نفسه وهذا إذا كان متنوراً بنور الإيمان وصافياً قلبه وممّيزاً صلاحه وخيره، وإما باستعانةٍ واسترشاد ممن لـه قوة التشخيص والتمييز وإحاطة روحانية بحقائق الوسائل وبتشخيص المعالجات الباطنية(١)؛ فيتعين التوسل في حق أفراد بالعبادات الخالصة وفي آخرين بالأذكار الواردة المتناسبة، وفي عدة بالخدمات الإلهية، وفي جمعٍ بالأعمال الصالحة والعمل بالوظائف اللازمة وهكذا بالتزكية والمراقبة في تهذيب النفس والتوسّلات بالأنبياء والأئمة المعصومين وغير ذلك ...)).(٢)

---

(١) وبمعرفة هذا المعيار تتضح حقيقة أن الوسيلة الأصلية للقرب من الله تعالى والتحقق بحقيقة العبودية له جل وعلا إنما تكون بالرجوع إلى أوليائه المقربين ﷺ المبلّغين عنه والمتصلين به والهداة بأمره إليه لأنهم هم الذين تتوفر فيهم الشروط اللازمة لمعرفة الوسيلة المناسبة لكل شخص بما أطلعهم الله عليه من حقائق الأشياء والأشخاص والوسائل وقدرة على معالجة أمراض القلوب وتلبية الاحتياجات الروحية التي تختلف من شخص لآخر.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن (١٣ـ١٤): ١٠٨ـ ١٠٩.

ولاية أولياء الله وقبول الأعمال التوسلية :

ويستفاد من النصوص الشرعية أن تحقق المطلوب من التوسل بوسائل النوع الثاني مرهونٌ بالتوسل، بوسائل النوع الأول وهذا هو ما تنطق به وبكل وضوح الأحاديث الشريفة الكثيرة المصرّحة بأنّ التمسّك بولاية أولياء الله من الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام هو شرط قبول الأعمال أيّاً كانت، فمثلاً عن الباقر عليه السلام قال: ((بني الإسلام على خمسة أشياء: ـ على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، قال زرارة: فقلتُ: وأي شيءٍ من ذلك أفضل؟ قال: الولاية أفضل لأنّها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن ...)) ... [إلى أن قال]: ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمان الطاعة للإمام بعد معرفته، إن الله عز وجل يقول: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾(١)، اما لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان

---

(١) النساء: ٨٠.

له على الله حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان، ثم قال: أولئك المحسن منه يدخله الله الجنة بفضل رحمته ...)).[١]

تحقق حقيقة العبودية لله بالخضوع للولاية :

وعنه عليه السلام قال: ((كل من دان الله عز وجل بعبادةٍ يجهد فيها نفسه ولا إمام لـه من الله فسعيه غير مقبول وهو ضال متحير ...))[٢]، وعن الصادق عليه السلام : ((... فلن يقبل الله لهم عملاً ولن يرفع لهم حسنة حتى يأتوا الله من حيث أمرهم ويتولّوا الإمام الذي أُمروا بولايته ويدخلوا من الباب الذي فتحه الله ورسوله لهم))[٣] وعن الباقر عليه السلام: ((من لا يعرف الله وما يعرف الإمام منّا أهل البيت فإنّما يعرف ويعبدُ غير الله ...))[٤].

---

(١) سفينة البحار ٢: ٦٩١.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي ١: ١١٨، ح١، ب ٢٩ (باب بطلان العبادة بدون ولاية الأئمة واعتقاد إمامتهم). طبعة مؤسسة آل البيت ـ قم.

(٣) المصدر السابق ١: ١٢٠ ح٥.

(٤) المصدر نفسه، ح٦.

وعن الإمام السجاد عليه السلام قال: ((أفضل البقاع ما بين الركن والمقام ولو أنّ رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ... يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان ثم لقى الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً.))[١]، وعن الإمام الباقر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[٢] قال: ((ألا ترى كيف اشترط؟ ولم تنفعه التوبة والإيمان والعمل الصالح حتى اهتدى؟! والله لو جهد أن يعمل [عملاً] ما قُبل منه حتى يهتدي، قال [الراوي]: قلت إلى مَن جعلني الله فداك؟ قال: إلينا))[٣] وعن الإمام الصادق عليه السلام: قال: ((... وإنما يقبل الله من العباد بالفرائض التي افترضها الله على حدودها مع معرفة من دعا إليه ومن أطاع وحرّم الحرام ظاهره وباطنه وصلّى وصام وحجّ واعتمر وعظّم حرمات الله كلّها ولم يدع منها شيئاً وعمل بالبرّ كلّه ومكارم الأخلاق كلّها وتجنّب سيّئها

---

(١) الوسائل ١: ١٢٢، ح١٢ من الباب المذكور.

(٢) طه: ٨٢.

(٣) الوسائل ١: ١٢٤، ح١٩ من الباب المذكور.

[ومن] زعم أنّه يحلّ الحلال ويحرّم الحرام بغير معرفة النبي ﷺ لم يحلّ لله حلالاً ولم يحرّم لـه حراماً، وأنّ من صلّى و زكّى وحجّ واعتمر وفعل ذلك كلّه بغير معرفة مَن افترض الله عليه طاعته فلم يفعل شيئاً من ذلك[1]... ليس لـه صلاة وإن ركع وإن سجد، ولا لـه زكاة ولا حجّ،

---

(١) لعلّ المقصود هو أنّ ما قام به بغير معرفة افترض الله عليه طاعته يشتمل على شكل العبادة وليس حقيقتها، فهو يركع ويسجد ويقدم سهم الزكاة ويمارس مناسك الحج دون أن يحقق حقيقة الصلاة والزكاة والحج، لأنّ حقيقة العبادة هي الخضوع في مقابل المعبود وهذا الخضوع لا يتحقّق مع عدم التسليم لأوامر مَنْ أمر الله بطاعته والأخذ عنه والتعبّد لله والخضوع لـه عزّ وجل بطاعته ـ بعد معرفته ـ لأنّه أمر بطاعته.

وهذا المعنى الدقيق أشارت إليه الآيات الكريمة المتحدثة عن قصّة إبليس اللعين فقد طُرد من الرحمة الإلهية ولم تنفعه عباداته الظاهرية الطويلة لأنه تمرد على الأمر الإلهي بالخضوع لآدم عليه السلام والسجود إليه كتعبير عن الأمر الإلهي بأن يكون آدم وسائر أنبياء الإنس وأوصيائهم عليهم السلام وسيلة الجنّ في طاعة الله وأخذ أوامره ونواهيه عنهم والإستهداء بهم للوصول إلى العبودية الحقّة لله جل وعلا وهي الغاية من خلق الجنّ والإنس كما يصرّح بذلك قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

ومن هنا يتضح أنّ الآيات الكريمة الحاكية لقصّة إبليس اللعين هي أحد المستندات القرآنية المتينة لمضمون الأحاديث الشريفة التي نقلنا طرفاً منها في المتن والمصرّحة ←

وإنّما ذلك كلّه يكون بمعرفة رجل منّ الله على خلقته بطاعته وأمر بالأخذ عنه ...))[١].

والأحاديث بهذه المضامين كثيرةٌ جداً كما يقول الحر العاملي[٢] وهي مروية في الكثير من المصادر المعتبرة.

أهليّة أهل بيت النبوة للإيصال إلى الله :

من هنا يتّضح أنّ الوسيلة الأصلية هم أهل بيت النبوة عليهم السلام والنوع الآخر من الوسائل تكتسب قيمتها من هذه الوسيلة الأصلية فقد شاء الله ـ جلّت حكمته ـ أن يكون التقرّب إليه مشروطاً بالأخذ عن هؤلاء المقربين منه وسائل القربى[٣]، فهم عليهم السلام أصحاب الأُذن

بِبطلان الأعمال والعبادات بدون الخضوع لولاية النبي وأهل بيته ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ.

(١) الوسائل ١: ١٢٤، ح١٨.

(٢) المصدر السابق في ذيل الباب المذكور.

(٣) لاحظ الهامش المتقدم على حديث الإمام الصادق عليه السلام بشأن فقدان العبادات الحقيقية بدون الولاية، وسيأتي لاحقاً توضيح بعض أوجه هذه الحكمة.

الواعية الكاملة[١] القادرة على تلقّي أنوار الهداية الإلهية ونقلها إلى العباد وهم واسطة نقل الفيض الإلهي إلى سائر الخلق الذين تتفاوت درجات كما لهم وقدرتهم على التلقّي ولذلك فهم حجج الله الظاهرة على عباده ولو لا هم لساخت الأرض بأهلها غير القادرين على تلقّي الفيض الإلهي مباشرة والإستفادة منه بالصورة

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في الآية١٢ من سورة الحاقة: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾، وقد استفاضت الأحاديث الشريفة من طرق الفريقين أنها نزلت في الإمام علي ﷺ وهي من مقاماته ومقامات الأئمة من ولده ﷺ ففي تفسير الميزان قال: ((وفيه [الدر المنثور للسيوطي] أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والواحدي وابن مردوية وابن عساكر وابن النجاري عن بردة قال: قال رسول الله ـصلّى الله عليه [وآله] وسلمـ لعلي: إنّ الله امرني أن أدنيك ولا أقصيك وأن أعلّمك وأن تعي وحق لك أن تعي، فنزلت هذه الآية ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾.

وفيه أخرج أبو نعيم في الحلية عن علي قال: قال رسول الله ـصلّى الله عليه [وآله] وسلمـ: يا علي، إنّ الله امرني أن أدنيك وأعلّمك لتعي، فأنزلت هذه الآية: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾، فأنت أذن واعية لعلمي.

وقد روي في غاية المرام من طرق الفريقين ستة عشر حديثاً في ذلك، وقال في البرهان: إنّ محمد بن العباس روى فيه ثلاثين حديثاً من طرق العامة والخاصة))، الميزان ١٩: ٣٩٦.

السليمة، وهم باب الله الذين أمر الله ورسوله ﷺ بالوفود إليه جل جلاله عبره؛ وهم مصاديق ((الإنسان الكامل)) الذي هو خليفة ا لله في أرضه بالمعنى الكامل.[١]

((الوسيلة)) مقام النبي ﷺ بالأصالة ومقام أهل بيته بالتبعية

يقول العلامة الطباطبائي في بحثه الروائي عن آية ابتغاء الوسيلة: ((وفي تفسير القمي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾ قال: فقال: تقرّبوا إليه بالإمام.

أقول: أي بطاعته، فهو من قبيل الجري والإنطباق على المصداق ونظيره ما ذكره ابن شهر آشوب قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [قال]: أنا

---

(١) راجع كتاب ((مصباح الهداية في الخلافة والولاية)) للإمام الخميني للتعرّف على دورهم ـصلوا ت الله عليهمـ في إيصال الفيض الإلهي للخلق، وقد دلّت على ذلك الكثير من البراهين العقلية والقرآنية والنقلية مدوّنه في الكتب المتخصّصة بمباحث الإمام مثل موسوعات الغدير وعبقات الأنوار والجاميع الروائية مثل البحار (الأجزاء ٢٣ـ٢٧ وغيرها) وشروحها مثل الوافي ومرآة العقول، وكتب الحكمة الإلهية المتعالية وغيرها).

وسيلته وقريب منه ما في بصائر الدرجات بإسناده عن سلمان عن علي عليه السلام، ويمكن أن تكون الروايتان من قبيل التأويل فتدبّر فيها.

وفي المجمع [مجمع البيان]: روي عن النبي ﷺ: سلوا الله لي الوسيلة، فإنها درجة في الجنة لا ينالها إلا عبد واحدٌ وأرجو أن أكون أنا هو.

وفي المعاني، بإسناده عن أبي سعيد الخدري قل: قال رسول الله ﷺ: إذا سألتم الله فاسألوا لي الوسيلة، فسألنا النبي ﷺ عن الوسيلة فقال: هي درجتي في الجنة (الحديث)، وهو طويل معروف بحديث الوسيلة.

وأنت إذا تدبّرت الحديث وانطباق معنى الآية عليه وجدت أنّ الوسيلة هي مقام النبي ﷺ من ربّه الذي به يتقرّب هو إليه تعالى ويلحق به آله الطاهرون ثم الصالحون من أُمّته، وقد ورد في بعض الروايات عنهم عليهم السلام: أنّ رسول الله آخذٌ بحجزة ربّه ونحن آخذون بحجزته، وأنتم آخذون بحجزتنا[1].

---

(١) الحجزة هي: ((معقد الإزار ثم قيل للإزار حجزه للمجاورة... وقد أستعير الأخذ بالحجزة للتمسّك والإعتصام ... وفي حديث رسول الله ﷺ((خذوا بحجزة هذا ←

وإلى ذلك يرجع ما ذكرناه في روايتي القمي وابن شهر آشوب أن من المحتمل أن تكونا من التأويل...)).[1]

التمييز بين التوسّل إلى الله وبين الشرك :

أجل من اللازم للمتوسّل بهم عليهم السلام أن يحفظ لهم مقام الوسيلة، فلا يخلط بين مقام المتوسّل به ومقام المتوسّل إليه جل وعلا، بل يكون ذاكراً على الدوام أنه ((واسل إلى الله راغب إليه)) فلا تغفله رؤية سمو مقامات أهل الوسيلة عن التوجّه إلى حقيقة أنّهم وسيلة وليسوا غاية، وإلاّ وقع في حبائل الشرك، وهذا ما تنبه

⇜

الأنزع ـ يعني علياً ـ فإنه الصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم يفرق بين الحق والباطل)) ... يعني تمسّكوا واعتصموا به، ومثله ((رحم الله عبداً أخذ بحجزة هادٍ فنجا)). استعار لفظة الحجزة لهدى الهادي ولزوم قصده والإقتداء به ...))، مجمع البحرين: ٢٩٦ من الطبعة القديمة.

وسيأتي نموذج لهذا الحديث الشريف لاحقاً، وقد نقل العلامة المجلسي طائفةً من الأحاديث بمعناه، لاحظ باب (الوسيلة وما يظهر من منزلة النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم في القيامة) من كتاب العدل والمعاد من بحار الأنوار ٧: ٣٢٦ وما بعدها ومعناه مروي من طرق الفريقين.

(١) الميزان ٥: ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

لـه الآية الكريمة الثانية التي نقلناها في صدر البحث، فهي من جهة تشتمل على: ((دلالة أكيدة على لزوم التوسّل حيث صرّح بأنّ الذين يدعونهم كالملائكة والعباد الصالحين المقرّبون منهم، يبتغون إلى الله الوسيلة على اقتضاء مقاماتهم))[١]، وتشتمل من جهةٍ ثانية على التنبيه لحقيقة أنّ: ((التوسّل إلى الله ببعض المقرّبين إليه... غير ما يرومه المشركون من الوثنيين، فإنّهم يتوسّلون إلى الله ويتقرّبون بالملائكة الكرام والجن والأولياء من الإنس، فيتركون عبادته تعالى ولا يرجونه ولا يخافونه، وإنّما يعبدون الوسيلة و يرجون رحمته ويخافون سخطه، ثم يتوسّلون إلى هؤلاء الأرباب والآلهة بالأصنام والتماثيل فيتركونهم ويعبدون الأصنام...

وبالجملة يدعون التقرب إلى الله ببعض عباده أو أصنام خلقه ثم لا يعبدون إلا الوسيلة مستقلة بذلك ويرجونها ويخافونها مستقلة بذلك من دون الله فيشركون بإعطاء الإستقلال لها في الربوبية والعبادة ...))[٢].

---

(١) التحقيق في كلمات القرآن، (١٣ـ١٤): ١١٠.

(٢) تفسير الميزان ١٣: ١٣٠ـ١٣١.

اهتمام أهل البيت بهداية الناس إلى التوحيد الخالص :

ونجد في تراث أهل بيت النبوة عليهم السلام إهتماماً ملحوظاً وشديداً بتوجيه المتوسّلين بهم إلى هدفهم الأسمى وإلههم ومولاهم الحق جل وعلا وإبعادهم عن الشرك والغلو في مقامات الذين يتوسّلون بهم إلى الله جل جلاله، والشواهد على ذلك كثيرة، فمثلاً نلاحظ في نص الزيارة الجامعة لأئمة الهدى المروي عن الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام المعروفة بالزيارة الجامعة الكبيرة التي تعتبر من أرقى نصوص زيارتهم عليهم السلام متناً ودلالةً كما يقول العلامة المجلسي.(١)

نلاحظ أنه عليه السلام يعلم المتوسّل بهم أن يختم زيارته لهم بهذه العبارات:

((ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فأكتبنا مع الشاهدين، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب... يا وليّ الله إنّ بيني وبين الله عز وجل ذنوباً لا يأتي عليها إلاّ رضاكم، فبحق من ائتمنكم على سره واسترعاكم أمر خلقه

---

(١)راجع ما نقله عنه الشيخ القمي في مفاتيح الجنان: ٥٥٠ من الطبعة المعربة.

وقرن طاعتكم بطاعته لما استوهبتم ذنوبي وكنتم شفعائي... اللهم إني لو وجدت شفعاء أقرب إليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار لجعلتهم شفعائي...))[١].

الله هو الغاية والتوسل هو بأحب الخلق إليه :

ونقرأ في دعاءٍ آخر علّمونا أن نختم به زيارة جامعة أُخرى نقلها السيد ابن طاووس في كتاب مصباح الزائر: ((... اللّهم لو عرفت من هو أوجه عندك من هذا الإمام ومن آبائه وابنائه الطاهرين عليهم السلام والصلاة لجعلتهم شفعائي وقدّمتهم أمام حاجتي وطلباتي هذه... يا سيدي ويا مولاي صلّى الله عليك... أنت وسيلتي إلى الله وذريعتي إليه... فكن شفيعي إلى الله ...))[٢].

ونقرأ في نصٍ آخر لوداعهم بعد زيارتهم مروي عنهم عليهم السلام: ((... لا جعله الله آخر العهد من زيارة قبوركم وإتيان مشاهدكم... اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارتهم وذكرهم والصلاة عليهم

---

(١) المصدر السابق: ٥٤٩ـ٥٥٠.

(٢) المصدر نفسه: ٥٨٦ـ٥٨٧.

وأوجب لي المغفرة والرحمة والخير والبركة والنور والإيمان وحسن الإجابة كما أوجبت لأوليائك العارفين بحقّهم.. والرّاغبين في زيارتهم ا لمتقرّبين إليك ... بأبي أنتم وأُمي ونفسي ومالي وأهلي إجعلوني من همّكم وصيروني في حزبكم وأدخلوني في شفاعتكم واذكروني عند ربكم...))[١].

ونقرأ في مطلع دعاء التوسّل المعروف بهم الذي علّموه لأوليائهم عليهم السلام: ((اللّهم إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك نبي الرحمة...))[٢]، ونقرأ في خاتمته: ((يا سادتي ومواليّ إنّي توجّهت بكم... إلى الله وتوسّلت بكم إلى الله... فإنكم وسيلتي إلى الله وبحبّكم وبقربكم أرجو نجاةً من الله...))[٣]، ونقرأ في دعاء آخر للتوسّل بهم مروي عنهم عليهم السلام: ((اللّهم صلّ على محمّد وعلى ابنته

---

(١) المصدر: ٥٨٦ـ٥٨٧ ولا تخلو أي من النصوص المروية عنهم عليهم السلام لزياراتهم عن نظائر هذه المضامين أو ما يؤدي إلى هدفها المتمثل بالهداية إلى التوحيد الخالص والتحصين من الشرك بمختلف مظاهرة.

(٢) مفاتيح الجنان المعرب: ١٠٨.

(٣) المصدر السابق: ١١٠.

وعلى ابنيها وأسألك بهم أن تعينني على طاعتك ورضوانك وأن تبلغني لهم أفضل ما بلغت أحداً من أوليائك إنك جواد كريم)).[١]

تحصينهم ﷺ المتوسّل بهم من الشرك :

وقد أُثر عنهم ﷺ الكثير من هذه المضامين في المروي عنهم من مختلف نصوص التوسّل بهم مثل نصوص زياراتهم أو الصلوات عليهم أو أدعية التوسّل بهم، محصنين بذلك المتوسّل بهم من الوقوع في شباك الشرك والغلو أو متى الإنبهار بفضائلهم بل منبعين لـه أنّ جميع هذه الفضائل هي من فضل الله عليهم ببركة جهادهم في سبيله وفيه عز وجل، بل ومؤكّدين أنّ الذي يبلغ المتوسّل بهم ما يرجو هو الله جل جلاله فلا استقلالية لهم عنه جل وعلا في فعل ولا في إرادة فهم عباده المكرومون الذين لا يعملون إلاّ بأمره والذي أمر طالبي قربه بالرجوع إليهم بل واسترعاهم أمر خلقه وبكل ذلك يجعلون حركة المتوسل بهم صلوات الله عليهم كدحاً إلى الله وجهاده في سبيله وفيه جل جلاله، وسيراً في سلوك

---

(١) المصدر نفسه: ١١٠.

الصراط المستقيم في رحاب التوحيد الخالص: ((من أراد الله بدء بكم ومن وحّده قبل عنكم ومن قصده توجّه بكم))[١].

أهل البيت هم النبي ﷺ والمعصومون من آله عليهم السلام:

أما المقصود بوصف ((أهل البيت))، فقد اتّضح من طيّات ما تقدم فهم الذين نزلت فيهم آية التطهير: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[٢]، وقد صحّت الأحاديث الشريفة من طرق الفريقين بأنهم: سادة الخلائق النبي الخاتم ﷺ، وابنته وبضعته ومهجة قلبه سيدة النساء فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) ووصيّه وأخوه سيد الأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام وسبطاه سيدا شباب أهل الجنة الحسنان سلام الله عليهما، هؤلاء من معاصريه ﷺ، يضاف إليهم التسعة الأئمة المعصومون من ذرية

---

(١) المصدر نفسه: ٥٤٨، مقطع من الزيارة الجامعة.

(٢) الأحزاب: ٣٣، وقد أثبتت البحوث القرآنية والأحاديث الشريفة الصحيحة المروية في صحاح الفريقين اختصاصها بأهل بيت النبوة ـ صلوات الله عليهم ـ راجع تفسير الميزان ١٦: ٣٠٩ـ٣٢٠ فقد أورد أدلة متينة على ذلك وراجع أيضا كتاب المراجعات للإمام شرف الدين وغيره من الكتب الكلامية.

الحسين صلوات الله عليهم أجمعين نصّت على ذلك الكثير من الأحاديث الشريفة المثبتة في المصادر المعتبرة.

ومثلما صحّت الأحاديث الشريفة في تحديد هوية هؤلاء الأطهار سلام الله عليهم تضمنت إشارات صريحة على المعنى المروي عنهم من أنهم آخذون بحجزة رسول الله ﷺ وهو آخذ بحجزة ربه جل و علا والعباد آخذون بحجزتهم كما تقدم عن تفسير الميزان، ومعنى هذا الحديث أنّهم عليهم السلام وسائل العباد للتقرب إلى الله جل وعلا مثلما أنّ رسول الله ﷺ وسيلتهم إلى الله لأنه وحده صاحب مقام ((الوسيلة)) على نحو الإطلاق.

تواتر الأدلة الحديثية على لزوم التوسّل بهم إلى الله :

هذا المعنى السلوكي الدقيق تدل عليه بوضوح الكثير من الأحاديث الشريفة التي صحّت روايتها من طرق الفريقين نظير حديث الثقلين المصرّح بأن التمسّك بهم إلى جانب القرآن الكريم هو ضمان النجاة من الضلالة والوصول إلى الله جل جلاله لأنّهم لا يفترقون عن القرآن في أي حال من الأحوال، ونظير حديث مدينة العلم حيث يصرّح بأنّ الدخول إلى مدينة علمه الإلهي منحصر

بإتيانها من بابها وهو الإمام علي عليه السلام بالأصالة والمعصومون من أئمة ذريته بالتبعية ، ونظير حديث سفينة النجاة حيث يصف صلى الله عليه وآله عترته الطاهرة بأنّهم سفن النجاة التي يهلك المتقدم عليهم مثلما يغرق المتأخر عنهم، ونظير حديث ((الأمان)) حيث يصفهم صلى الله عليه وآله بأنّهم العروة الوثقى التي ينجي التمسك بها الأُمة من الإختلاف في طريق القرب من الله جل جلاله؛ أو الأحاديث الأُخرى بهذه المضامين كثيرة متواترة في معانيها ونصوصها تامة الدلالة على المقصود، كاملة الحجّة على العباد في وجوب التمسّك بهم والتوسّل بهم إلى الله جل جلاله وقربه.[1]

دليل وجداني على لزوم التوسّل بهم عليهم السلام:

والى هنا يكون قد اتّضح بعون الله ـ جلّت قدرته ـ أنّ الذي تأمر به الآية الكريمة التي صدّرنا البحث بها هو التوسّل بهؤلاء الأطهار المقرّبين عند الله ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ للوصول

---

(١) كل هذه الأحاديث صحت روايتها من طرق الفريقين كما أشرنا في الهوامش السابقة.

إلى القرب الإلهي والفوز بمقاعد الكرامة عند المليك المقتدر، وهذا ما تدل عليه أيضاً الكثير من النصوص الشرعية سنشير إلى بعضها إن شاء الله في طيات الحديث عن مصاديق التوسّل بهم ـ صلوات الله عليهم ـ وهي كما سنرى صريحة في الدلالة على كل ما تقدم، بل وحتى لو لم ترد مثل هذه النصوص المصرّحة بالأمر بالتوسل بهم والداعية إليه والمبيّنة لانحصار طريق التوسل الفاجع والتقرب إلى الله جل جلاله بالتوسل بهم والدخول إلى حضرة قربه من أبوابهم نقول حتى لو لم ترد مثل هذه النصوص؛ فمن يا ترى أجدر منهم بأن يكون وسيلة إلى الله جل جلاله وهم أقرب الخلق إليه وأحبّهم إليه وأعرفهم به وأعبدهم لـه كما نصّت على ذلك الكثير من النصوص الشرعية بل وكما دلت عليه سيرتهم العملية؟!

محمّد وآله ﷺ أرأف خلق الله بعباده :

بل ومن هو أجدر منهم بمثل هذا التوسل وهم أشفق خلق الله على خلقه جل جلاله وأرأف خلقه بخلقه وأشدّهم حرصاً على إيصال كل الخلق إلى أنوار الهداية الإلهية ورحاب القرب الإلهي التي

ذاقوا حلاوتها فدفعهم تخلّقهم بأخلاق الله وتجسيدهم مظاهر رحمته أن يحرصوا على أن يذوق جميع خلقه حلاوة ما ذاقوا؟!

يقول عزّ من قائل عن سيدهم وقدوتهم الذي تخلّقوا بأخلاقه جميعاً وتنوّروا بأنواره كافة سيد الخلائق المصطفى محمد ﷺ: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[١]، ومعنى الآية هو: ((لقد جاءكم أيها الناس رسولٌ من أنفسكم من أوصافه أنه يشق عليه ضرّكم أو هلاككم وأنّه حريص عليكم جميعاً من مؤمن أو غير المؤمن وأنّه رؤوف رحيم بالمؤمنين منكم خاصة، فيحق عليكم أن تطيعوا أمره لأنه رسول لا يصدع إلاّ عن أمر الله وطاعته طاعة الله، وأن تأنسوا به وتحنّوا إليه لأنه من أنفسكم وأن تجيبوا دعوته وتصغوا إليه كما ينصح لكم...))[٢].

---

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) تفسير الميزان ٩: ٤١١ـ٤١٢.

وهم أحرص الخلق على إيصال العباد إلى الله :

ويقول عزّ من قائل مخاطباً حبيبه المصطفى ﷺ: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ ألا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[١]، و((البخوع هو إهلاك النفس عن وجد... والمعنى: يرجى منك أن تهلك نفسك بسبب عدم إيمانهم بآيات هذا الكتاب النازل عليك، والكلام مسوق سوق الإنكار والغرض منه تسلية النبي ﷺ...))[٢]. ويقول عزّ من قائل مخاطباً سيد خلقه ﷺ: ﴿ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[٣]، والحسرة هي: ((الغم لما فات والندم عليه... والمراد بذهاب النفس عليهم هلاكها فيهم لأجل الحسرات الناشئة من عدم إيمانهم))[٤] ومعناه: ((فلا تهلك عليهم للحسرات على غيّهم وإصرارهم على التكذيب ... وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على إصرارهم ، أو كثرة مساوئ أفعالهم المقتضية للتأسف...))[٥].

---

(١) الشعراء: ٣.

(٢) الميزان ١٥: ٢٥٠.

(٣) فاطر: ٨.

(٤) تفسير الميزان ١٧: ١٩.

(٥) تفسير كنز الدقائق للشيخ محمد رضا المشهدي القمي المعاصر للعلامة المجلسي، ١٠: ٥٤١ طبعة وزارة الإرشاد في الجمهورية الإسلامية.

وهم الرحمة الإلهية الموصولة :

تبين هذه الآيات المباركة شدة شفقة النبي الأكرم ﷺ وعترته وأهل بيته المتخلّقين بأخلاقه، على خلق الله جل جلاله وشدة حرصهم على هداية المعرضين عنهم وإنقاذ المكذبين لهم، فكيف هو حالهم مع المقبلين عليهم والمتوسلين بهم؟! ما أعظم بركات إعانتهم للمتوسل بهم صلوات الله عليهم وهم: ((**أصول الكرم .. وأولياء النعم .. وكهف الورى .. ومساكن بركة الله .. والرحمة الموصولة.. سعد من والاكم وهلك من عاداكم وخاب من جحدكم وضلّ من فارقكم وفاز من تمسّك بكم وأمن من لجأ إليكم وسلم من صدّقكم وهدي من اعتصم بكم**)).(١)

---

(١) مقاطع من الزيارة الجامعة، مفاتيح الجنان المعرب: ٥٤٤ـ٥٤٧.

نموذج من سيرتهم ﷺ:

روى المؤرخون من الفريقين في كتبهم أن أهل المدينة عندما وفدوا على يزيد بن معاوية بالشام ورأوا ما رأوا من فسقه وفجوره وتهتكه واستهانته بالدين عزموا على خلعه فلما عادوا إلى المدينة أعلنوا خلعه وثورتهم عليه وأخرجوا عامله عليها عثمان بن محمد بن أبي سفيان وحصروا بني أمية في دار مروان ثم أخرجوهم من المدينة، وأخذوا يتعقبونهم، فذهب مروان بن الحكم إلى عبد الله بن عمر والتمسه أن يغيّب أهله عنده فأبى وطرده، فأحتار في أمره ولجأ إلى السجاد علي بن الحسين عليهما السلام وقال لـه: إن لي رحماً وحرمي تكون مع حرمك، فاستجاب لـه الإمام وبلّغ حرمه مأمنهم بعد أن آواهم مع عياله مدة إذ خرج بحرمه و حرم مروان إلى ينبع وآواهم فيها ورعاهم مثلما يرعى عياله، ثم إن امرأة مروان وهي عائشة بنت عثمان بن عفان خرجت إليهم فأرسل زين العابدين عليه السلام ولده عبد الله معها إلى الطائف محافظةً عليها فبقي معها حتى انتهت الوقعة فشكر له مروان ذلك.[١]

---

(١) راجع سفينة البحار ٢: ٥٣٧ عن تأريخ ابن الأثير، وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ٤: ٢١٠ عن تأريخ الطبري.

لقد اتخذ ـ سلام الله عليه ـ هذا الموقف النبيل تجاه مروان بن الحكم الذي قلّ نظيره في شدة مناصبته العداء لأهل البيت سلام الله عليهم تشهد على ذلك مواقفه الكثير في الجاهلية والصريحة وجاهليته الخفية بعد أن دخل الإسلام كرهاً وقبل ثلاث سنين من واقعة الحرة وثورة أهل المدينة كان مروان أشد الناس تحريضاً على سيد الشهداء ـ سلام الله عليه ـ وهو الذي قال بنشوة يوم جاؤا بعد وقعة الطف المفجعة برأس الحسين عليه السلام:

يا حبذا بردك في اليدين ... ولونك الأحمر في الخدين
كأنما حفّ بوردتين ... شفيت نفسي من دم الحسين[1]

(١) أعيان الشيعة ٤: ٢١١.

وهم مأمورون إلهياً بإجارة المستجيرين :

ولكنّ مروان هذا كان يعرف سجية أهل هذا البيت سلام الله عليهم فلجأ إليهم رغم كل ما كان منه مستغيثاً فوجد عندهم الغوث: ((فأضفني يا مولاي وأجرني فإنّك كريم تحب الضيافة ومأمور بالإجارة فأفعل ما رغبت إليك فيه ورجوته منك بمنزلتك وآل بيتك عند الله ومنزلته عندكم..)).[1]

فإذا كانت هذه سنّتهم في إغاثة من استغاث بهم من أعدائهم فكيف الحال مع المتوسل بهم من شيعتهم ومواليهم؟ وكيف تكون

---

(١) مفاتيح الجنان المعرب: ٥٦، مقطع من الزيارة المروية عن الإمام صاحب الزمان عليه السلام للإمام علي عليه السلام ضمن تقسيم أيام الأُسبوع عليهم صلوات الله عليهم في الزيارة وقد نقلها السيد ابن طاووس في كتابه جمال الأُسبوع (مفاتيح الجنان: ٥٤) وبالنسبة لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الأحد فقد ذكر السيد ابن طاووس أنها ((برواية من شاهد صاحب الزمان وهو يزوره بها في اليقظة لا في النوم))، والمعنى الوارد فيها من التصريح بأن الإمام مأمور من الله بإجارة المستجيرين وارد في زيارات باقي أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم.

قوة اندفاعهم لإعانة المستعين بهم وقد أمرهم ربهم بذلك وهم المتفانون السابقون في طاعته والمبادرين في الإستجابة لأوامره جل وعلا؟ يقول عزّ من قائل مخاطباً نبيه الأكرم ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾.[1]

دلالة القرآن على لزوم التوسل بأهل البيت عليهم السلام:

هذه الآية الكريمة تبين أولاً الأمر الإلهي لسيد أهل بيت النبوة بالأصالة ولهم بالتبعية بحكم خلافتهم العامة لـه ﷺ بأن يكونوا وسيلة لإيصال المتقربين من عباده -جل وعلا- إليه إلى غايتهم وتأهيلهم لقربه – جل وعلا - كما تأمرهم بالدعاء لهؤلاء المتقربين ثانياً، وتصرح ثالثاً بحتمية تحقق آثار التوسل بهم للمتوسلين المتقربين بهم عليهم السلام، وتشير رابعاً إلى حقيقة أنهم عليهم السلام الذين يحققون للمتقربين بهم ما يرجونه من قرب الله جل جلاله، وليس مجرد الأعمال الصالحة من الصدقات وغيرها هي التي تحقق لهم ذلك بل إن الذي يطهرهم ويزكيهم بهذه الصدقات وصالحات الأعمال

---

(١) التوبة: ١٠٣.

هو النبي الأكرم ﷺ وبالتالي ((ولي الله الكامل)) بالمعنى العام فليس للصدقات وصالحات الأعمال مستقلة وبدون التوسل بالولي المعصوم هذا الأثر، وبذلك تكون هذه الآية الكريمة دليلاً قرآنياً بيناً على مضمون عدم قبول الأعمال بدون الولاية والذي تقدمت الإشارة إلى بعض الأحاديث الشريفة المصرحة به، وبالتالي على لزوم التوسل بهم إلى الله.

القرآن يصرّح بأن الولاية شرط قبول الأعمال :

لنتدبر مرةً أُخرى في الآية الكريمة المتقدمة ـ وهي من غرر آي الذكر الحكيم ـ ولنتأمل فيما يقوله العلامة الطباطبائي في تفسيرها حيث يقول: ((التطهير إزالة الأوساخ والقذارات من الشيء ليصفى وجوده ويستعد للنشوء والنماء وظهور آثاره وبركاته، والتزكية: إنماؤه وإعطاء الرشد لـه بلحوق الخيرات وظهور البركات، كالشجرة بقطع الزوائد من فروعها فتزيد في حسن نموها وجودة ثمرتها فالجمع بين التطهير والتزكية في الآية من لطيف التعبير.

فقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ أمر للنبيّ ﷺ بأخذ الصدقة من أموال الناس ... وقوله: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، خطاب للنبيّ ﷺ،

وليس وصفاً لحال الصدقة، والدليل عليه ضمير ((بها)) الراجع إلى الصدقة، أي: خذ يا محمد من أصناف أموالهم صدقة تطهرهم ((أنت)) وتزكيهم بتلك الصدقة أي بأخذها.

وقوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، الصلاة عليهم هي الدعاء لهم والسياق يفيد أنه دعاءٌ لهم ولأموالهم بالخير والبركة وهو المحفوظ من سنة النبي ﷺ فكان يدعو لمعطي الزكاة ولماله بالخير والبركة.

وقولـه: ﴿إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾، السكن ما يسكن إليه الشيء والمراد به أن نفوسهم تسكن إلى دعائك وتثق به، وهو نوع شكر لسعيهم في الله...))[١].

والمستفاد من هذه الآية الكريمة، تؤكده الكثير من الأحاديث الشريفة، منها مثلاً ما روي في أصول الكافي مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((من زعم أن الإمام يحتاج إلى ما في أيدي الناس فهو كافر، إنما الناس يحتاجون أن يقبل منهم الإمام. قال الله عز وجل ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٢].

---

(١) الميزان ٩: ٣٧٧.

(٢) تفسير كنز الدقائق ٥: ٥٣٠ عن أصول الكافي ١: ٥٣٧، ح١.

وفيه عنه عليه السلام: ((إني لآخذ من أحدكم الدرهم، وإني لأكثر أهل المدينة مالاً، ما أريد بذلك إلا أن تطهروا))[١].

التطهير والتزكية مهمة النبي ﷺ وعترته عليهم السلام:

إذن، فهذه الآية الكريمة صريحة الدلالة في أن من المهام المكلف بها الرسول الأكرم ﷺ هو أولاً تطهير الناس وتزكيتهم وهذا ما تصرح به آيات كريمة أخرى: **﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾**[٢]، **﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾**[٣]، **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾**[٤]، **﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾**[٥].

---

(١) كنز الدقائق ٥: ٥٣٠ عن الكافي ١: ٥٣٨ ح٧.

(٢) البقرة: ١٥١.

(٣) آل عمران: ١٦٤.

(٤) الجمعة: ٢.

(٥) البقرة: ١٢٩، والآية الكريمة دعوة إبراهيم الخليل -على نبينا وآله وعليه السلام- المستجابة بشأن خاتم الأنبياء ﷺ.

أجل تتميز الآية مورد البحث عن هذه الآيات الكريمة المتقدمة باشتمالها على أمر إلهي صريح للنبي ﷺ بالقيام بمهمة التطهير من خلال أحد وسائلها وهي وسيلة الإنفاق فيما تؤيد الآيات الأُخرى بصراحة أشد ما تضمّنته الآية الكريمة من أن التطهير أساساً يتأتى من النبيّ ﷺ وليس من الصدقات مستقلة فهو الذي ((يزكيهم)).

الله يتم الحجة على عباده بلزوم التوسل إليه بأهل البيت :

وهذه المهمة ـ التطهير والتزكية ـ من مهام الإمامة التي يجمع النبي الأكرم ﷺ بينها وبين مقام النبوة المأمور فيه أساساً بالتبشير والإنذار والبلاغ ـ وليس التزكية والتطهير والهداية إلى الله بأمره ـ التي هي من مقام الإمامة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[1]. ﴿فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[2]، ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي

---

(١) الفرقان: ٥٦.

(٢) التغابن: ١٢.

الظَّالِمِينَ﴾[١]، **﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾**[٢].

وحيث إنّ هذه المهمة هي من مهام الإمامة، لذلك فإن أئمة العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام يشتركون مع عميدهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في كونهم مأمورين بالقيام بها. وهذا ما تدل عليه أيضاً بوضوح آية الولاية: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[٣].

وعندما نرجع إلى البديهية العقلية القائلة بأن فاقد الشيء لا يعطيه ثم نتدبّر في آية التطهير وثبوت نزولها في أهل بيت النبوة - صلوات الله عليهم- تتضح بالكامل حقيقة أن الله عز وجل مثلما

---

(١) البقرة: ١٢٤، وراجع بحث العلامة الطباطبائي في تفسير الآية في كتاب الميزان وفيه توضيحات قيّمة للفرق بين مقامي الإمامة والنبوة على ضوء الآيات الكريمة التي نقلنا في المتن نماذج لها.

(٢) السجدة: ٢٤.

(٣) المائدة: ٥٥، وقد ثبت في الروايات المروية من طرق الفريقين نزولها في الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام وهي صريحة في الدلالة على الولاية المثبتة له عليه السلام هي من سنخ ولاية الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

أمر في كتابه الكريم النبي بالأصالة وأئمة عترته بالتبعية بمهمة إيصال طالبي قربه وهداه إليه جل وعلا وجعلهم وسيلة إليه وشرط قبول الأعمال بتوليهم، فإنه قد صرح في الوقت بأهليتهم ـ صلوات الله عليهم ـ للقيام بهذه المهمة عندما صرح في آية التطهير بطهارتهم الكاملة وعصمتهم التامة وبالتالي قدرتهم تطهير الآخرين وتزكيتهم.

وبذلك يكون الله جل جلاله قد أتم الحجة على الناس جميعاً في كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل على لزوم التوسل إليه بأهل بيت نبيه ﷺ إذ صرح بأن بهم تعطي صالحات الأعمال آثارها في التزكية والتطهير وتأهيل العبد لقربه جل جلاله، وصرح بأهليتهم للقيام بهذه المهمة بل وأمرهم باستقبال المتوسلين ثم صرح بأن: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[١].

---

(١) المائدة: ٥٦.

لا مناص لطالب النجاة من التوسل بهم :

إذن يتّضح ممّا تقدم أن لا مناص لطالب القرب الإلهي من التوسل بهم عليهم السلام وصولاً إلى بغيته القدسية، بل ولا مناص لعموم المؤمنين عن التوسّل بهم صلوات الله عليهم للوصول إلى ما يأملونه من قضاء حاجاتهم المشروعة واستجابة أدعيتهم لمختلف شؤون دنياهم وأُخراهم والنجاة من مختلف أشكال الضلالات كما سيتضح جلياً ضمن الحديث عن مصاديق التوسل بهم سلام الله عليهم، كما أن النصوص الشرعية متظافرة في الأمر بذلك وفي التصريح بضمان وصول المتوسل بهم إلى ما يرجو وما يأمل.

إنهم سلام الله عليهم مظهر الرحمة الإلهية الواسعة والمكلفون من الله جل جلاله بإعانة المستعينين بالله جلت قدرته وإغاثة المستغيثين به والمبادرون إلى القيام بذلك، فلا يخيب من توسل به بل المغبون من غفل عن التوسل بهم صلوات الله عليهم وهم الذين فتحوا أيديهم لكل من تمسك بعروتهم الوثقى، يقول آية الله العارف الشيخ محمد البهاري في إحدى رسائله السلوكية: ((... لا تخف ولا تحزن إن الله تبارك وتعالى نعم الرب، وإن محمداً ﷺ نعم

الرسول، وإن علياً والأحد عشر من أولاده نعم الأئمة، من تمسك بأذيال جلالتهم جرّوه بقوة ـ ولو كان ضعيفاً ـ ورغماً عنه إلى حظيرة القدس، ... فما من صغير توسل بهم وتركوه في مرتبته بل هم ينقلونه من الحضيض إلى الذرى لا سيما إذا استعان بالتوكل على الله لدنياه وبالتقوى لأُخراه ...))[1].

وسائط انتقال الفيض الإلهي للعباد :

ويقول آية الله السيد العارف الفقيه زين الدين الطباطبائي في كتابه القيّم ولاية المتقين: ((من الأُمور المعينة على التقوى والورع عن معاصي الله جل جلاله، التوسل بأئمة الهدى صلوات الله عليهم، فبدون التوسل بهم لا يكتمل أي عمل ولا يتم أي أمر لأنّهم وسائط انتقال الفيض الإلهي، فكل فيض يصدر إلى الخلق من ينابيع رحمة الحق تعالى يصب أولاً في أودية الأئمة عليهم السلام المستعدة لتلقيه، ومنها يجري إلى أراضي الخلائق المتأهلة لـه فهم عليهم السلام المظاهر

(١) كتاب تذكرة المتقين (مجموعة من الوصايا والرسائل السلوكية لعدد من عرفاء الإمامية): ١١٨ من الترجمة العربية، طبعة دار الهادي بيروت.

التامة لجميع الأسماء والصفات الإلهية... وكل ما يصدر من الحق جل شأنه إلى الخلق سواء من العذاب والمجازاة أو الرحمة والفيوضات إنما يصل إلى الخلائق بتوسّطهم عليهم السلام ... وتكفي في إثبات ذلك سورة القدر المباركة، فارجع إلى تفسيرها وتدبّر في الأحاديث المروية في كتاب الكافي بشأن ليلة القدر لتعرف حقيقة الأمر، والأحاديث الأُخرى المروية في كتاب ((الحجّة)) من كتاب الكافي وغيرها فهي تفوق حد الإحصاء فلا يمكن للمنكر أن يقول إنها أخبار آحاد أو يطعن في أسانيدها...)).[١]

لزوم اقتران التوسل بهم بالإذعان لفضلهم عليهم السلام :

ويقول المحدث الخبير العلامة المجلسي: ((وقد ثبت في الأخبار أن جميع الحقائق والمعارف بتوسطهم عليهم السلام - حتى الملائكة عليهم السلام - والحاصل إنه قد ثبت في الأخبار المستفيضة أنهم الوسائل بين الخلق وبين الحق في إفاضة جميع الرحمات والعلوم والكمالات على جميع

(١) كتاب ولاية المتقين (بالفارسية)، آية الله زين الدين الطباطبائي: ٨٩، من الطبعة الثالثة، إنتشارات ماني-إيران.

الخلق، فكلما يكون التوسل بهم والإذعان بفضلهم أكثر كان فيضان الكمالات من الله تعالى أكثر...))[١].

التوسّل إلى الله عز وجل بهم سلام الله عليهم مائدة إلهية مفتوحة للجميع وهي عامرة لا نفاد لها لأن كمالاتهم سلام الله عليهم لا نفاذ لها لأنها صادرة من منبع الكمال المطلق جل وعلا. فكلما اجتهد المؤمن في المزيد من التوسّل بهم صلوات الله عليهم وبمختلف مصاديق التوسّل، كلّما حصل على المزيد من البركات الإلهية العامة والخاصة وازداد قرباً من الله عز وجل: والأمر نفسه يصدق على التواضع لهم والإقرار بفضلهم عليهم السلام وهو من أبواب التوسّل بهم.

شروط الحصول على بركات التوسّل بهم :

أجل، إن الحصول على الثمار المباركة المرجوّة من التوسّل بأولياء الله المقرّبين صلوات الله عليهم، يرتبط من جهةٍ أُخرى بتحقق جملة من الشروط بعضها يفقد التوسّل معناه بدونها فلا

---

(١) المصدر السابق عن مرآة العقول في شرح أصول الكافي للعلامة المجلسي ١: ٣٠.

يكون توسلاً حقيقياً، وبعضها يؤثّر في الحصول على المراتب السامية من ثماره الجليلة. وأهم هذه الشروط ما تقدمت الإشارة إليه من لزوم عدم الغفلة ـ أثناء التوسل وقبله وبعده ـ عن ربهم ـ جل جلاله. وأنه هو الغاية وأنهم عليهم السلام وسيلة الوصول إليه وليسوا غاية المتوسل مع الإقرار بمقاماتهم ومعرفة أنهم عباد الله المقربين، وفي غير هذه الحالة يفقد التوسل معناه ويتحول إلى مظهر من مظاهر الشرك ـ والعياذ بالله ـ، وهذا ما نهى عنه الله تبارك وتعالى ورسوله وأهل بيته صلوات الله عليهم كما أسلفنا، والنصوص الشرعية في ذلك كثيرة للغاية.

الانقطاع إليهم ومعرفة مقاماتهم:

ومن هذه الشروط الصدق في التوسل بهم والانقطاع إليهم واليأس من غيرهم والوفاء إليهم والإخلاص لهم وأداء حقوقهم وهذا ما تدل عليه الكثير من النصوص الشريفة ستأتي نماذج لها لاحقاً وهي تدل أيضاً على أن أهم هذه الشروط هو أن يكون هذا التوسل منبثق عن معرفة سليمة قائمة على أدلة وبراهين صحيحة بمقاماتهم وقربهم من الله جل جلاله وبوجوب طاعتهم والأخذ

عنهم: ((**إذا سعيت في التوسل بدون معرفة بهم فلن يكون لتوسّلك أثراً مهماً وإن كان لا يخلو من أثر، ولكن كلما تعمقت المعرفة كلما ازدادت آثار التوسل، فالتوسل بهم ﷺ عن غير معرفة بهم هو مثل الجهاد بدون سلاح ...**))[١].

روي في أمالي بن الشيخ الطوسي مسنداً عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾[٢] قال: ((والله لو إنه تاب وآمن وعمل صالحاً ولم يهتد إلى ولايتنا ومودتنا ومعرفة فضلنا ما أغنى عنه ذلك شيئاً))[٣] وقد وردت بمعناه أحاديث أخر.

وروى الصدوق في علل الشرائع مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابه فقال: أيها الناس! إن الله ـ عزّ وجلّ ذكره ـ ما خلق العباد إلاّ ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه، فقال له رجل: يا بن رسول الله بأبي أنت وأمّي فما معرفة الله؟ قال:

---

(١) المصدر السابق: ٩٤.

(٢)سورة مريم: ٦٠.

(٣)البحار٢٣:٨١.

معرفة أهل كل زمانٍ إمامهم الذي يجب عليهم طاعته))[١]، ويبدو أن المقصود هو أن معرفة الإمام توصل إلى معرفة الله عز وجل، لأن أولياء الله هم أسماء الله الحسنى المعرفة به بحكم تخلقهم بأخلاقه. وقد يكون المقصود معرفة أن الإمام هو الوسيلة إلى الله وبطاعته يكون قبول الأعمال والقرب من الله جل جلاله.

وروى الشيخ الصدوق في كتاب الخصال أنّ رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام: ((ثلاث أقسمُ إنهنّ حق: إنّك والأوصياء من بعدك عرفاء لا يُعرف الله إلا بسبيل معرفتكم، وعرفاء لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه، وعرفاء لا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه...))[٢].

---

(١) المصدر نفسه ٢٣:٨٣.

(٢) المصدر نفسه ٢٣:٩٩، الخصال ١:٧٣.

المعرفة الوجدانية لمنزلتهم من الله تقود إلى التوسّل بهم :

ولا يخفى أن تعميق المعرفة بمقاماتهم سلام الله عليهم وكرامتهم على الله وحبّه جل وعلا لهم وما أجراه على أيديهم من تدبيرات شؤون خلقه، كل ذلك من شأنه أن يرسخ حالة توجه المؤمن إليهم و توسله بهم وإنقطاعه إليهم وثقته وإطمئنانه بجدوى وثمار التوسّل بهم إلى الله عز وجل وبالتالي يجعله يندفع إلى التوسل بهم بمختلف مصاديق التوسل وفي مختلف شؤونه الحياتية بل وينقطع عن غيرهم إليهم صلوات الله عليهم. ولعل هذه هي الثمرة الأساسية التي رجوها من تحدثهم عن مقاماتهم وأهمية التمسّك بولايتهم وحبّهم أي أنّهم لم يتحدّثوا عن ذلك إظهاراً لفضلهم فهم صلوات الله عليهم في غنىً عن ذلك وهم أجل من ذلك، بل إنّهم اضطروا للتحدث عن مقاماتهم شفقةً منهم على الخلق ورحمة بهم وسعياً لهدايتهم إلى السبيل المؤدي إلى نجاتهم وفوزهم بثمار وبركات القرب من الله جل جلاله.

من هنا يتضح أن من أهم ما ينبغي للمتوسّل بهم صلوات الله عليهم الإهتمام به هو أن يجتهد في الحصول على معرفة سليمة من

المصادر الشرعية بمقاماتهم ويهتم بمطالعة النصوص الشريفة الواردة بهذا الشأن باستمرار والتدبّر فيها وفي دلالاتها والسعي لترسيخها في القلب للحصول على حالة الإعتقاد القلبي الوجداني بها، فهذه الحالة هي تدفع إلى العمل بمقتضيات هذا الأعتقاد وأهمها التوسّل بهم صلوات الله عليهم في كل المجالات تقرباً إلى الله جل وعلا.

التدبّر في فقرات الزيارة الجامعة :

ولعل من أجمع النصوص الشريفة المبيّنة لمقاماتهم سلام الله عليهم هو نص الزيارة المعروفة بالزيارة الجامعة التي شدّد الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ الوصية ـ بالمواظبة عليها في قصة لقائه بالسيد الرشتي، وهي الزيارة التي رواها الشيخ الصدوق في كتابي من لا يحضره الفقيه وعيون أخبار الرضا عليه السلام وكذلك الشيخ الطوسي في كتاب تهذيب الأحكام، وقد وصفها العلامة المجلسي بأنّها أرقى الزيارات الجامعة متناً وسنداً، وهي أفصحها وأبلغها ووصفها والده العلامة محمد تقي المجلسي في شرحه لكتاب من لا يحضره الفقيه بقوله: «بأنّ هذه الزيارة أحسن الزيارات وأكملها

وإنّي لم أزر الأئمة عليهم السلام ما دمت في الأعتاب المقدّسة إلا بها)) [١].

وهي تشتمل على استعراض بليغ وشامل لمقامات الأئمة عليهم السلام على لسان الإمام الهادي عليه السلام ولذلك فهو استعراض دقيق منزّه عن الغلو وعن التقصير، ولذلك كانت سنة العلماء المواظبة على تلاوتها، بل هم يوصون بعرض عقيدة المؤمن بأهل بيت النبوة سلام الله عليهم على ما ورد فيها: ((وعلى أي حال، إذا أردت الحصول على أفضل معرفة وبصيرةٍ في توسّلك بهم عليهم السلام فارجع إلى ما كتبه المجلسي الأول في شرح الزيارة الجامعة المعروفة وقد قال المجلسي الثاني في كتاب زاد المعاد: إنّ المرحوم الوالد قد كتب شرحاً مفصلاً للزيارة الجامعة نافعاً للغاية في باب العقائد.

والحق هو ما قاله ... فيلزم الأُخوة .. الرجوع إلى هذا الكتاب لإكمال عقائدهم على ضوئه...)).

---

(١) مفاتيح الجنان المعرّب: ٥٥٠، وينقل عن الإمام الخميني أنه كان ملتزماً بتلاوة هذه الزيارة في مرقد أمير المؤمنين عليه السلام وكذلك كان حال الكثير من الصالحين والمتعبدين والعرفاء.

النبي الأكرم وسيلة الأئمة إلى الله :

وإضافة إلى مراجعة أبواب مقاماتهم وفضائلهم في الجاميع الروائية المعتبرة، فإنّ من النافع جداً في هذا الباب التدبر في الآيات الكريمة التي تتحدث عن مقامات الأنبياء صلوات الله عليهم فأهل بيت النبوة عليهم السلام جامعون لها وهم ورثتها، وكذلك مقامات سيدهم رسول الله ﷺ فهذه المقامات ثابتة لعترته الطاهرة عليهم السلام إلاّ ما خرج بالدليل، روى الشيخ الكليني في أُصول الكافي مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((الأئمة بمنزلة رسول الله ﷺ إلاّ أنّهم ليسوا بأنبياء ولا يحلّ لهم من النساء ما يحلّ للنبيّ ﷺ فأمّا ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله ﷺ))[١].

ولا يخفى أنّ المقصود هو الإشتراك في مقاماته ﷺ في الهداية وإيصال الفيض الإلهي إلى الخلق وتبقى له ﷺ مرتبة القرب الأُولى من الله جل جلاله، فهو الآخذ بحجزة الله والأئمة آخذون بحجزته وسائر الناس آخذون بحجزتهم كما ورد في أحاديثهم عليهم السلام

---

(١) الكافي ١:٢٧٠ ، عنه بحار الأنوار ٢٧:٥٠.

أي أنه ﷺ سيّدهم ووسيلتهم إلى الله مثلما أنّهم سادة سائر الخلق ووسائلهم إليه ﷺ وبالتالي إلى الله جل جلاله، كما تقدمت الإشارة لذلك سابقاً؛ في تفسير علي بن إبراهيم عن أبيه، عن عبد الله بن جندب قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن تفسير قوله تعالى ﴿**اللّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[1] إلى آخر الآية، فكتب إليّ الجواب: ((أما بعد فإنّ محمداً ﷺ كان أمين الله في خلقه، فلما قبض النبيّ ﷺ كنا أهل البيت ورثته، فنحن أُمناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا ... نحن آخذون بحجزة نبيّنا ونبيّنا آخذ بحجزة ربّنا والحجزة النور، وشيعتنا آخذون بحجزتنا، من فارقنا هلك، ومن تبعنا نجا ... ومن مات وهو يحبّنا كان حقّاً على الله أن يبعثه معنا.

نحن نورٌ لمن تبعنا، وهدىً لمن اهتدى بنا ... مثلنا في كتاب الله كمثل مشكاة والمشكاة في قنديل، فنحن المشكاة فيها المصباح: [والمصباح] محمد رسول الله .... يهدي الله لولايتنا من أحبّ، وحق على الله أن يبعث ولينا مشرقاً وجهه نيّراً برهانه، ظاهرة عند الله

---

(١) النور: ٣٥.

حجّته، حقّ على الله أن يجعل ولينا مع المتقين [في نسخة أن يجعل أولياءنا المتقين مع] النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً... ونحن أولى الناس برسول الله ...))[(١)].

الإقتداء بالأنبياء في التوسل بمحمد وآله عليهم السلام :

وقد استفاضت الأحاديث الشريفة من طرق أهل البيت عليهم السلام بأن الله تبارك وتعالى قد عرف أنبياءه وخلص أوليائه منذ عهد آدم عليه السلام بمقامات النبي وآله ﷺ فاتخذوهم وسيلة إلى الله عزّ وجل حتى قبل حياتهم الظاهرية في هذه الحياة الدنيا، وهذا يعني أنهم صلوات الله عليهم كانوا وسيلة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام قبل الإسلام ومعرفة هذه الحقيقة تدفع المؤمن إلى الإقتداء بالأنبياء والأوصياء السابقين عليهم السلام في التوسل بهم ـ صلوات الله عليهم ـ في التقرب إلى الله عز وجل، فيكون الأمر القرآني بالإقتداء بالأنبياء والأوصياء السابقين عليهم السلام[(٢)] مشتملاً على أمر قرآني بالتوسل بأهل

---

(١) بحار ٣٦: ٢٤١ ـ ٢٤٣.

(٢) وذلك في قوله تعالى بعد ذكر الأنبياء السابقين عليهم السلام في سورة الأنعام: ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا ←

البيت المحمدي ـ صلوات الله عليهم ـ فقد قال الفقيه الكراجكي في كتابه كنز الفوائد: روى شيخ الطائفة رحمه الله بإسناده إلى الفضل بن شاذان رفعه إلى أبي جعفر [الإمام الباقر] عليه السلام قال: ((إن الله عزّ وجل يقول: ما توجه إليّ أحدٌ من خلقي أحبّ إليّ من داعٍ دعاني يسأل بحق محمّد وأهل بيته.

وإن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه قال: اللهم أنت وليّ في نعمتي والقادر علي طلبتي، وقد تعلم حاجتي، فأسألك بحق محمد وآل محمد إلا ما رحمتني وغفرت زلتي.

فأوحى الله إليه: يا آدم أنا ولي نعمتك، والقادر على طلبتك وقد علمت حاجتك، فكيف سألتني بحق هؤلاء؟ فقال: يا ربّ إنك لما نفخت في الروح رفعت رأسي إلى عرشك فإذا حوله مكتوب: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، فعلمت أنه أكرم خلقك عليك. ثم

﴿لَيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ ۞أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾... (الأنعام: ٨٩ ـ٩٠) ومن هداهم توسلهم بأهل بيت النبوة ودعائهم الله بهم عليهم السلام كما نصت على ذلك الكثير من الأحاديث الشريفة.

عرضت عليّ الأسماء، فكان ممن مرّبي من أصحاب اليمين آل محمد وأشياعهم، فعلمت أنّهم أقرب خلقك إليك. قال [جل وعزّ]: صدقت يا آدم))[١].

وقد عقد العلامة المجلسي في موسوعة البحار باباً تحت عنوان ((أن دعاء الأنبياء إستجيب بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين)) من كتاب الإمامة جمع فيه طائفةً من هذه الأحاديث بالنسبة لتوسل الأنبياء عليهم السلام بهم[٢]، وقد اكتشف علماء الآثار الغربيون قبل عقود بقايا سفينة نوح عليه السلام ، وعثروا فيها على لوح خشبي كان في السفينة يتضمن نقوشا بأسماء النبي ووصيه

---

(١) بحار الأنوار ٢٤: ١ـ٢، كنز الفوائد: ٣٢٧.

(٢) البحار ٣٦: ٣١٩ـ٣٣٤، بل وفي الأحاديث تصريحات بأن الملائكة أيضاً يتوسلون إلى الله بمحمدٍ وآله صلّى الله عليه وعليهم: ففي حديث للإمام الصادق عليه السلام مروي مسنداً عنه في تفسير علي بن إبراهيم وبصائر الدرجات قال: ((والذي نفسي بيده لملائكة الله في السموات أكثر من عدد التراب في الأرض... وما منهم من أحدٍ إلا ويتقرّب كل يوم إلى الله بولايتنا أهل البيت ويستغفر لمحبينا ويلعن أعداءنا...)) البحار ٣٦: ٣٣٩.

وابنته وابنيهما عليهم السلام[1] وهذه من الدلائل الوجدانية الكثيرة المؤيدة لمضامين تلك الأحاديث الشريفة.

---

(١) راجع كتاب (أهل البيت عليهم السلام في سفينة نوح) السيد محمد إبراهيم الموحّد القزويني: ٢٢ـ٢٨، الطبعة الرابعة، وقد ذكر فيه أنّ الذين عثروا على اللوح الخشبي المشار إليه هم مجموعة من العلماء السوفيت المختصين بالآثار، وذلك في شهر تموز سنة ١٩٥١ م، فقد عثروا في منطقةٍ كانوا ينقبون فيها عن الآثار على قطع متناثرة من أخشاب قديمة متسوسة وبعضها متحجرة لكنهم عثروا بينها على لوح خشبي سالم على شكل مستطيل (١٤×١٠) انج، وقد أثار استغرابهم عدم تغيّره كسائر الأخشاب الأُخرى، وفي أواخر سنة (١٩٥٢م) أكمل التحقيق حول هذه الآثار واتضح أنّها قطع من سفينة نوح عليه السلام، وقد وجدوا على اللوح السالم نقوشاً عكف سبعة من علماء اللغات القديمة السوفيت على دراستها وبعد ثمانية شهور أجمع هؤلاء العلماء على أنّ هذا اللوح الخشبي مصنوعٌ من نفس الخشب المتناثر في المنطقة والمتبقي من سفينة نوح، وأنّ النقوش المرسومة عليه مكتوبة باللغة السامانية وقد ترجمها إلى الإنجليزية (إيف ماكس) أُستاذ الألسن القديمة في جامعة مانجستر ونص ترجمتها العربية (من الانجليزية) هو: ((يا إلهي ومعيني، برحمتك وكرمك ساعدني ولأجل هذه النفوس المقدّسة: محمد، إيليا، شبّر، شبير، فاطمة الذين هم جميعهم عظماء ومكرمون، العالم قائم لأجلهم، ساعدني لأجل أسمائهم أنت فقط تستطيع أن توجه نحو الصراط المستقيم)).

ـه

استشعار طالب القرب الإلهي حاجته للتوسل بهم عليهم السلام:

ومن الشروط المهمة الأُخرى الدافعة للمؤمن للتوسل بهم ـ صلوات الله عليهم ـ والمؤهلة لـه للحصول على ثماره المباركة، هو تعميق استشعاره الوجداني لحاجته وفقره المستمر للتوسل بهم ـ صلوات الله عليهم ـ وسبيله لذلك من جهة التدبر في الحقائق المتقدمة وفتح قلبه للأوامر الإلهية المشار إليها آنفاً، هذا من جهة ومن جهة ثانية ترسيخ الشعور القلبي بنقصه وعجزه عن التلقي المباشر دون توسطهم للفيض الإلهي والبركات الإلهية والتفكر في أمر خطاياه الحاجبة لـه عن ربه جل جلاله، وهذا ما ينبه لـه الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام وفيه أن أبا بصير سأله: ما كان دعاء يوسف في الجب فإنا قد إختلفنا فيه؟ فقال عليه السلام: ((إن يوسف عليه السلام لما صار في الجب وآيس من الحياة قال:

☜

وهذا اللوح موجود في متحف الآثار القديمة في موسكو، وقد نقل مؤلف الكتاب المذكور أنه التقى ببعض الأخوان شاهدوه في المتحف المذكور، كما نشر صورةً تخطيطية للنقوش الموجودة على اللوح.

اللهم إن كانت الخطايا والذنوب قد أخلقت وجهي عندك فلن ترفع لي إليك صوتاً، ولن تستجيب لي دعوة، فاني أسألك بحق الشيخ يعقوب، فارحم ضعفه واجمع بيني وبينه، فقد علمت رقته عليّ وشوقي إليه.

قال [أبو بصير] ثم بكى أبو عبدالله عليه السلام ثم قال: وأنا أقول:

اللهم إن كانت الخطايا والذنوب قد أخلقت وجهي عندك فلن ترفع لي إليك صوتاً ولن تستجيب دعوة، فإني أسألك بك: فليس كمثلك شيءٍ وأتوجه إليك بمحمدٍ نبيك نبي الرحمة، يا الله، يا الله، يا الله.

قال [أبو بصير]: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام:

قولوا هذا وأكثروا منه، فإني كثيراً ما أقوله عند الكرَب العظام))[1].

---

(١)كتاب روضة الواعظين: ٣٢٧ كما في كتاب العقائد الإسلامية ٤: ٣٢٧، إعداد مركز المصطفى للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، والدعاء المذكور في هذا الحديث ←

التوسّل بهم عليهم السلام جار على سنة إجراء الأشياء بالأسباب :

ولا يخفى أنّ للخطايا والذنوب مراتب كثيرة تتناسب مع مراتب الناس في قربهم من الله جل جلاله، وكلّما ارتفعت مرتبة المؤمن في القرب من الله عز وجل كلّما تعمّقت معرفته بمراتب أدقّ من الخطايا والذنوب التي يصدق عنوانها العام على كل ما يصد العبد عن مرتبة أعلى من القرب من مولاه جل وعلا هو مستعد بالقوة للوصول إليها ولكن ثمة موانع تعيقه عن بلوغها، والتوسّل هو وسيلة التطهر من هذه الموانع بهدف بلوغ تلك المراتب.(١)

من هنا تتّضح حكمة تشريع الله جلّت حكمته لسنّة التوسّل

الشريف من أدعيه التوسل المهمة التي لاينبغي الغفلة عنه خاصة مع وصية الإمام الصادق عليه السلام بالإكثار منه وتصريحه بأنه بنفسه يكثر منه.

(١)هذا الأمر يمكن إستفادته منه الآية (١٠٣) من سورة التوبة الإمرة بأخذ الصدقات من الناس لتطهيرهم وقد تقدم الحديث عنها. كما ينبغي التدبّر في حديثي الإمام الصادق عليه السلام التي نقلناها هناك ففيها تنبيه إلى لزوم ترسيخ المؤمن لشعوره بالحاجة إلى تطهير أهل بيت النبوة ـ صلوات الله عليهم ـ لـه للفوز بمقامات القرب من الله جل وعلا...

وأمره بها للتقرّب إليه جل جلاله، فهذه السنة جارية على قانونه العام في إجراء الأُمور بأسبابها، عن الصادق عليه السلام: ((أبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بالأسباب، فجعل لكل شيءٍ سبباً، وجعل لكل سببٍ شرحاً، وجعل لكل شرح مفتاحاً، وجعل لكل مفتاحٍ علماً وجعل لكل علم باباً ناطقاً، من عرفه عرف الله، ومن أنكره أنكر الله، ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن))[1].

والقريب من الله يتوسل إلى المرتبة الأعلى في القرب الإلهي بالأقرب إلى الله كما هو المستفاد من قوله تعالى في آية سورة الإسراء: ﴿**أولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**﴾[2]. وقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وآله للأمة الأقرب إلى الله وسيلة بعده صلى الله عليه وآله إذ لم يصف بذلك أحداً من أصحابه سوى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد روت عائشة في خبر قتل ذي الثدية زعيم الخوارج عنه صلى الله عليه وآله: ((هم شرّ الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق

---

(١) البحار ٢: ٩٠ ح١٥ والمضمون نفسه مستفاد من أحاديث كثيرة أخرى.

(٢) الإسراء: ٥٧.

والخليقة وأقربهم إلى الله وسيلة))[1]، وهذا المقام جار للأئمة من ذريته عليهم السلام كما هو واضح مما تقدم.

الشرك سبب الأعراض عن التوسل بهم عليهم السلام :

وبعد أن اتّضح أنّ الله تبارك وتعالى قد أمر عباده بالتوسل إليه بمحمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين يتضح أن التوحيد الخالص يكمن في التوسل بهم إليه لكي تتحقق العبودية الحقّة لـه جل وعلا بأطاعة أمره بالتوسل بهم والتواضع لهم، وعليه يتضح أن تعظيمهم والإستعانة بهم والتخضّع لهم والتوسل بهم كلها مظاهر لعبودية الله وتوحيده الخالص، دون أن يكون في كل ذلك أي شائبة للشرك بل إنّ الشرك يكون في عصيان أمره ـ جل جلاله ـ والإستكبار عن تعظيم من أمر بتعظيمه: **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ**

---

(١) العقائد الإسلامية ٤: ٣٤٤ـ٣٤٨، عن شرح الأخبار للقاضي النعمان ١: ١٤٢ والحديث مروي في مصادر أُخرى كثيرة من طرق الفريقين.

الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، وقال الله: **﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾**[2].

و((التعزير: النصرة مع التعظيم))[3]، أي أنّ الله تبارك وتعالى يأمر بنصرة رسله و تعظيمهم، والتعظيم لشخص أقرب للوازم العبادة من التوسل به[4]، فكيف يمكن أن يكون موحداً من استكبر

---

(١) الاعراف: ١٥٧.

(٢) المائدة: ١٢.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٣٤٥.

(٤)ويُلاحظ أن الله تبارك وتعالى استخدم نفس هذه في دعوته الناس لتعظيمه وتوقيره وقرنها بأبرز مظاهر عبادته وهو التسبيح وأردف ذلك بتوضيح سبيل مبايعته: **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾** الفتح: (٨ـ١٠).

والآيات الكريمة واضحة الدلالة في تبيان أنّه تعظيم ومبايعة والتسليم بما أمر الله بذلك تجاهه هو تعظيم وتوقير وتسليم لـه جل وعلا. روى الصدوق في عيون أخبار ←

عن تعظيم من أمر الله بتعظيمه أي المستكبر عن أمر الله بسبب عجبه بنفسه وعبادته لها فيما يكون المستجيب لأمر الله المتعبد لـه تعالى بتعظيم من أمر الله بتعظيمه مشركاً رغم أنه تحرر من عبودية النفس و((الأنا)) وهي علة الإستكبار؟!

لقد أمرنا الله تبارك وتعالى بتعظيم وتوقير ((الحجر الأسود)) والتقرب إلى الله بتقبيله والتوسل إليه بالتبرك به وبأحجار الكعبة المعظمة، وهذا ما يتفق عليه جميع المسلمين، فلماذا ينكر بعضهم تعظيم وتوقير خيرة خلق الله وأوليائه المقربين صلوات الله عليهم

الرضا عليه السلام: ((بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام: يابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث: أنّ المؤمنين يزورون ربهم من منازلهم في الجنة؟ فقال: يا أبا الصلت، إنّ الله تعالى فضّل نبيّه محمداً على جميع خلقه من النبيين والملائكة، وجعل طاعته طاعته ومبايعته مبايعته وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته، فقال عزوجل ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ وقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، وقال النبي ﷺ: من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله.

ودرجته في الجنة أعلى الدرجات، ومن زاره في درجته في الجنة من منزله، فقد زار الله تبارك وتعالى)) (الميزان ١٨: ٢٧٥ـ٢٧٦) .

والتوسل بهم إلى الله والتبرك بهم تقرباً إليه جل جلاله؟! وبأي دليلٍ يرونه شركاً في العبادة ونقضاً للتوحيد الخالص؟!

الاعراض عن التوسل بهم خطيئة إبليس :

لقد صرح الله تعالى في كتابه الكريم مراراً بأنه أمر إبليس بالسجود لآدم عليه السلام؛ والسجود ألصق مظاهر التعظيم والتوقير بصورة العبادة، وصرح بأنّه إمتناع إبليس عنه الإستجابة لهذا الأمر الإلهي كان سبب طرده من الحضرة الآلهية، وهو الذي عبد الله أربعة آلاف أو ستة آلاف سنة ودخل في صفوف الملائكة لكثر عبادته لله عزّ وجل، ولكنه رغم ذلك فشل في هذا الإختبار لأنّه: ﴿**اسْتَكْبَرَ**﴾[1] ولأنه كان ﴿**مِّنَ الْعَالِينَ**﴾ ولذلك رفض الاستجابة لأمر الله.

وبعبارة أُخرى فإن هذا الامتحان الإلهي كشف أن إبليس كان منذ البداية مستكبراً: ﴿**كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ**﴾ وكشف أن عبادته الطويلة لله لم تكن عبادةً حقيقيةً ولم تكن ((لله)) أصلاً، بل كان يعبد ((الأنا)) الكبيرة المتجبرة والمستكبرة فيها. لنتدبر بدقة في تعليل

---

(١) ص: ٧٤.

إبليس لرفضه الأمر الإلهي بالسجود لآدم رغم أن الله كرّمه ونسب خلقه إلى ذاته المقدسة مباشرة في تكريم صريح: ((**يا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ**))[١] وكرّمه بـ﴿**فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[٢] فكل ما نجده في جواب إبليس هو وثن ((الأنا)) المتجبرة المستكبرة: ﴿**أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ**﴾[٣].

وهذا يعني أن عبادة إبليس لم تكن حقيقية منذ البداية وإلاّ لأضمحلّت فيه ((الأنا)) بالكامل بطول عبادته، فاستكباره الذي أدى إلى فشله في هذا الإمتحان ظهر لأنه ((كان)) كافراً منذ البداية بالعبادة الحقيقية: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ**﴾[٤].

---

(١) ص: ٧٥.

(٢) الحجر: ٢٩، وسورة ص: ٧٢.

(٣) ص:٧٦، والأعراف:١٢.

(٤) ص: ٧٣_٧٤.

فعبادته كانت في الواقع لهذه ((الأنا)) الكبيرة المستكبرة وإن كانت في ظاهرها عبادة لله عز وجل، وعندما تقاطعت عبادته الحقيقية ((للأنا)) التي كانت تجعله يرى نفسه خيراً من الجميع، مع عبادته الظاهرية لله، تمرّد على عبادة الله والخضوع لأمره لأنه لم يكن عابداً حقيقياً لله. بل كان عابداً لوثن ((الأنا)) المستكبرة فيه.

التوسل بهم علامة وطريق الوصول إلى العبادة الحقيقية لله :

وعلى ضوء ما تقدم يتضح أن الخروج من معبد عبادة وثن ((الأنا)) هو طريق الوصول إلى العبادة الحقيقية لله جلّ وعلا والسبيل للخروج من عبادة وثن ((الأنا)) هو الخضوع والتعظيم لمن أمر الله بتعظيمه والتوسّل إليه تعالى بالذين هم مخلوقون مثلهم مقرّبون منه جل وعلا قد كرّمهم وفضّلهم على العالمين، فهذا التعظيم والتوسّل هو الذي يوصل إلى التحرر من عبودية ((الأنا)) الدافعة للإستكبار، ويوصل الإنسان للعبودية الحقيقية للذين كرّمهم وأمر بتعظيمهم، وهذه من كبرى ثمار التوسل إلى الله بأوليائه المقرّبين بل هي من أهم علل تشريع الله لهذا التوسل رحمة بعباده

ولإخراجهم من ظلمات عبودية مختلفْ أشكال الأوثان الظاهرة والخفية وإيصالهم إلى نور عبادة الله جل جلاله وحده ((لا شريك لـه))، والإستكبار عن هذا التوسل القدسي هو عين الكفر أو الشرك لأنّه يعني أن المنكر المستكبر أسير عبادة وثن ((الأنا)) وهي أم الأوثان وأخطرها.

التوسل ومعالجة مرض التكبر الإبليسي :

جاء في كتاب العقائد الإسلامية: ((أن الحكمة من جعله تعالى الأنبياء والأوصياء وسيلة إليه تعالى:

أولاً: أنّ يعالج مشكلة التكبر في البشر، لأن البشر لا يمكنهم الإنتصار على تكبرهم وخضوعهم لعبودية الله تعالى إلا إذا انتصروا على ذاتيتهم في مقابل الأنبياء والأوصياء، واعترفوا لهم بالفضل والمكانة المميزة والإختيار الإلهي، وأنهم المبلغون عن الله تعالى، فهذا الإعتراف مطلوب لأنه مقدمة علمية وعملية للإيمان بالله تعالى وممارسة العبودية لـه.

فبدون الخضوع للأنبياء والأوصياء لا يتحقق خضوعٌ حقيقيٌ لله تعالى ولا إيمان حقيقي به... فالخضوع العملي للمخلوقين الربانيين

الممتازين هو الطريق الطبيعي الوحيد للخضوع للخالق سبحانه وهما نوعان مختلفان من الخضوع، لأن حق الخضوع لله ذاتي ولأوليائه تبعي جعلي، بل هما في الحقيقة نوعٌ واحد لأن الخضوع للأولياء بأمر الله تعالى إنما هو خضوع لله تعالى.

التوسل ضرورة للحصانة من الضلالة :

وثانياً: أن جعل الأنبياء والأوصياء وسيلة إليه تعالى ضرورة ذهنية للبشر، ذلك أن الفاصلة بين ذهن الإنسان المحدود الميال إلى المادية والمحدودية، وبين التوحيد المطلق المطلوب والضروري فاصلةً كبيرةً، فهي تحتاج إلى نموذج ذهني حاضر من نوع الإنسان، يمارس التوحيد أمامه ويكون قدوة لـه، وبدون هذا النموذج القدوة يبقى الإنسان في معرض الجنوح في تصوره للتوحيد وممارسته والجنوح في هذا الموضوع الخطير أخطر أنواع جنوح الضلال، وهذا السبب ـ في اعتقادي ـ في أن الله تعالى جعل أنبياءه وأوصياءهم حججاً على العباد.[١]

(١) العقائد الإسلامية (إعداد مركز المصطفى للدراسات الإسلامية)، ٤: ٢٧٥ـ٢٧٧.

التوسل نوع راق من السلوك الإيماني :

((...من الأُمور التي تهزّ الإنسان وهو يبحث في آيات التوسل وأحاديثه، أن الله تعالى أنزل آية الأمر بالتوسل في آخر سورة من قرآنه (المائدة) بعبارة موجزة مقتضبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ولكن بصيغة قوية تأمر المسلمين بالإرتفاع إلى نوعٍ راقٍ من السلوك الإيماني يتميز بالتعامل اليومي مع النبي وأهل بيته ﷺ على أنهم وسيلة المسلم إلى ربه تعالى.

ثم بيّن الرسول للمسلمين كيفية تنفيذ الطلب الإلهي، بأن يصلوا عليه عندما يذكر اسمه وعندما يسمعون الأذان، وعندما يقفون للصلاة بين يدي ربهم، وفي ختام صلاتهم، وعندما تمسهم شدة أو حاجة، وهذا يعني أن يعيش المسلم يومياً ـ وفي أقدس لحظات حياته ـ التوجّه إلى الله تعالى بنبيه وآله والتوسل بهم إليه، لأنهم الواسطة التي اختارها الله وأمر أن يتوسل العباد إليه بها. وهي حقيقةٌ كبيرةٌ تدل على أبعاد النبوة وأعماق الولاية لمحمّد وآله الطيبين الطاهرين.))[1]

---

(١) المصدر السابق: ٣٦٤.

التوسل يزكّي الأعمال :

ومثلما أمرت النصوص الشرعية بالتوسل إلى الله تبارك وتعالى بأهل بيت النبوة صلوات الله عليهم فإنها عرفت المؤمنين بمصاديق هذا التوسل وبينت آثارها، وهي مصاديق تشمل جميع شؤون حياة المؤمن وتلبي آمال وطموحات طالب القرب الإلهي لبلوغ المقامات السامية ومدارج السعادة الحقيقية في الدارين، هادية بذلك من ألقى السمع وهو شهيد إلى أن يجتهد في حركةٍ دؤوبة مستمرة في طي معارج الكمال والفوز بخير وكرامة الدارين، فهي تزكّي وتطهّر أعماله من الشوائب وتجعله سائراً على الصراط المستقيم متقرّباً إلى الله جل جلالة بالوسيلة التي تضمن لـه أن يكون في جميع حركاته وسكناته وفي جميع لحظاته عابداً لله تعالى بالعبادة الحقيقية.

وهذه الحقيقة ستزداد وضوحاً ـ إن شاء الله ـ عندما نستعرض في القسم الثاني من هذا البحث المصاديق التي ذكرتها النصوص الشرعية للتوسل إلى الله تعالى بأحب خلقه إليه محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم والآثار التي جعلها الله بلطفه وكرمه لكلٍّ منها.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



الفصل الثاني

بركات ومصاديق التوسل إلى الله بمحمد وآله صلى الله عليه وآله




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

النتائج المستفادة من القسم الأول من البحث :

عرفنا في القسم الأول من البحث الحقائق التالية:

١ـ أن معنى التوسل لغوياً هو: فعلٌ اختياري يستعين الشخص فيه بوسيلة معينة عن رغبة تجعله يتمسك بقوة بها لكي توصله إلى القرب والحظوة عند من يريد التقرب منه، وهي سنّة طبيعية في نظام الحياة والمهم فيها أن تكون الوسيلة المبتغاة موصلة حقّاً إلى ما ينشده المتوسّل. وهي من مصاديق النظام الإلهي الشامل في إجراء الأشياء بالأسباب.

٢ـ إن الله تعالى أمر عباده بابتغاء الوسيلة إليه، وهي التي تربطهم به عزّ وجلّ على قاعدة العبودية الحقّة، وهذه الرابطة على نوعين: الأعمال الصالحة والمعارف الصحيحة، والأنبياء والأئمة والأولياء المقربين عليهم السلام، وهي بنوعيها أهم الأُمور في السير والسلوك إلى الله.

٣ ـ وتصرّح النصوص الشرعية ـ قرآناً وسنة ـ أنَّ الأعمال الصالحة والمعارف الصحيحة لا تؤدّي الأثر المطلوب منها بدون التوسل بأولياء الله المقرّبين عليهم السلام فهم الذين يقومون بتزكية الأعمال والمعارف وجعلها تعطي ثمارها في تزكية المتوسل بهم وتأهيله للقرب والحظوة من الله، أي أنهم عليهم السلام هم الذين يقومون ـ في الواقع ـ بتطهير المتوسلين وتزكيتهم وتأهيلهم للقرب من الله وقضائه جلّ وعلا لحاجاتهم ودعائهم؛ فلا مناص لطالب القرب من التوسل بهم.

٤ ـ واتضح من القرآن والسنّة ـ أن النبي وآله ـ عليه و عليهم الصلاة والسلام ـ هم أولياؤه المقربون الذين كرّمهم وفضّلهم على العالمين وطهّرهم تطهيراً وأمر عباده بالتوسل بهم إليه جل وعلا حتى قبل حياتهم الدنيوية الظاهرية، فعرف بمكانتهم هذه منذ ((عالم الذر))، وكانوا وسيلة الأنبياء والأوصياء السابقين منذ عهد آدم عليه السلام وكذلك وسيلة الملائكة أيضاً.

٥ ـ واتضح أيضاً ـ من دلالات القرآن والسنّة ـ أنَّ التوسل بهم عليهم السلام هو طريق التوحيد الخالص وتحقيق المعرفة والعبودية

الحقّة لله جل جلاله، فإن ((مَن أراد الله بدأ بهم ومن وحّده قبل عنهم)) كما ورد في الزيارة الجامعة انسجاماً مع النصوص الشرعية. وأنهم مأمورون من الله جل وعلا بالأخذ بأيدي طالبي قربه وإيصالهم إلى ما ينشدون.

٦ ـ وهم ـ سلام الله عليهم ـ أجدر الخلق بالتوسل بهم إلى الله حتى لو لم يرد الأمر الإلهي الثابت بذلك، لأنّهم أحبّ خلق الله إليه، والعقل يحكم بالتوسل إلى أي شخص بأحبّ شيء إليه ولأنّهم أقرب الخلق إليه تعالى، ولأنهم أرأف خلقه تعالى بخلقه وأشدّهم حرصاً على إيصال عباده وهدايتهم إليه، ولأن سيرتهم ووصاياهم جلية في الدلالة على أنهم أحرص الناس على إبعاد العباد عن شباك الشرك الجلي والخفي والأخذ بأيديهم إلى التوحيد الخالص.

٧ ـ كما اتضح أن من شروط الحصول على الصورة الأكمل للتوسل إلى الله تعالى بهم عليهم السلام هي: معرفة فضلهم ومقاماتهم والإقرار بهم و تعظيمهم لأن الله أمر بذلك والتسليم له والإستشعار الوجداني للحاجة إلى التوسل بهم والإنقطاع إليهم.

٨ ـ واتضح أيضاً من دلالات القرآن والسنة أن الشرك الخفي والإستكبار وعبودية ((الأنا)) المتجبرة هو سبب رفض التوسل بهم فهذا الموقف من إرث إبليس اللعين ومن مصاديق خطيئته الكبرى التي سبب طرده وإبعاده من الحضرة الإلهية وتهاويه في ظلمات الغواية.

٩ ـ كما اتضح أن التوسل بهم والتسليم والخضوع لهم وتعظيمهم هو الذي يعالج مرض التكبر الإبليسي وسائر الأمراض القلبية ويحرر المتوسل بهم عليهم السلام من عبودية ((الأنا)) المستكبرة وبذلك يخرجه من ظلمات عبودية النفس إلى نور عبودية الله جل جلاله.

١٠ ـ وأخيراً اتضح أن الإستجابة الخالصة للأمر الإلهي بالتوسل بهم تحصن الإنسان من الشرك وتفتح أمامة أبواب التطهّر بالهداية الإلهية الحقّة وتجعله يسير على الصراط المستقيم ويسلك نمطاً راقياً في السلوك الإيماني.

ملاحظات بشأن مصاديق التوسل :

في القسم الثاني من البحث نتناول عرض مصاديق للتوسل بأهل بيت النبوة صلوات الله عليهم وقبل الدخول فيه نرى من الضروري التمهيد لذلك بتثبيت النقاط التالية:

١ ـ إن التوسل بهم عليهم السلام هو أمرٌ عبادي بل هو أفضل العبادات كما هو المستفاد مما تقدم وكما ستدل عليه نصوص تأتي لاحقاً ـ إن شاء الله ـ فهو استجابة لأمر الله عزّ وجلّ وطاعة له.

٢ ـ وحيث إنه عمل عبادي لذا ينبغي الإلتزام في مصاديق تجسيده بما ورد في النصوص الشرعية الواردة في القرآن والسنة كما أن في ذلك ضمانة أساسية لتحصين المتوسل من الوقوع في الشرك أو تحويل الوسيلة إلى غاية لأن مصاديق التوسل الواردة في النصوص الشرعية صادرة من العلم الإلهي المحيط بجميع أشكال الشرك الخفي والجلي، وصادرة من ينابيع الوحي الداعية للتوحيد الخالص والتي لا يتطرق لها الباطل والشرك بأي شكل من أشكاله.

٣ ـ وقد حرصنا في اختيار نماذج من النصوص الشرعية الكثيرة الهادية إلى كل مصداق من مصاديق التوسل على نقل التي

تشتمل على ذكر آثار التوسل المعنوية ودورها في التقريب من الله جل جلاله، فهذه هي الهدف الأسمى والبركات العظمى التي ينشدها المؤمن. مع التنبيه إلى أن للتوسل بهم عليهم السلام آثار وبركات دنيوية لا تحصى أيضاً، وهو مفتاح قضاء الحاجات المادية أيضاً كما نصّت على ذلك الكثير من الأحاديث الشريفة التي لم ننقل هنا إلا نماذج قليلة منها.

٤ ـ والملاحظ في مصاديق التوسل بهم عليهم السلام التي تذكرها النصوص الشرعية أنها كثيرة تشمل مختلف شؤون الحياة مع التأكيد على التوجيه لهذا التوسل المبارك في الحاجات المهمة، ولكن الجدير بالمؤمن ذي الطموحات المشروعة السامية وطالب القرب الإلهي أن يكون متوسلاً بهم عليهم السلام في جميع شؤونه لكي يحصل على البركات الموصلة لما تنشده همته العالية: فلا يحصر توسّله بهم في الحالات الطارئة وحسب.

٥ ـ بسبب محدودية هذه المقالة التزمنا بالإيجاز في توضيح دلالات النصوص الشرعية حرصاً على فسح مجال أوسع لهذه النصوص لما لها من نورانية خاصة، لذلك نرجو من القارئ الكريم

أن يطيل التفكّر والتدبّر فيها ويجتهد في الإستضاءة بها كمقدمة للعمل وأن لا ينسانا من صالح دعائه.

وبعد هذه المقدمة ننتقل إلى استعراض موجز لأهمّ مصاديق هذا التوسل المبارك مستعينين بالله جل جلاله في استخراج ما تضمن تصريحات أو إشارات وقرائن تدل على أنه من مصاديق التوسل:

١ـ التوسل إلى الله بالمودة الصادقة لأحب خلقه إليه:

قال عز من قائل: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۞ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾**(١)

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللهِ﴾(٢)

---

(١) الشورى: ٢٢ـ٢٣.

(٢) سبأ: ٤٧.

﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[١]

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾[٢]

حبّهم الصادق وسيلة الدخول في زمرتهم :

وعن النبي ﷺ: ((من أحبّنا وانتحل محبّتنا أسكنه الله معنا وتلا هذه الآية ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.))[٣]

((أثبتكم قدماً على الصراط أشدّكم حبّاً لأهل بيتي))[٤]

((أحبّوا الله لما يغذوكم به من نعمه ولما هو أهله، وأحبّوني لحبّ الله تعالى وأحبّوا أهل بيتي لحبّي))[٥]

---

(١) الأنعام: ٩٠.

(٢) الفرقان: ٥٧.

(٣) الآية في سورة القمر: ٥٥، والحديث في بحار الأنوار: ٢٧: ١٣٠ ح١٢٠.

(٤) البحار ٢٧: ١٥٨، عن فضائل الشيعة للشيخ الصدوق: ٥.

(٥) البحار ٢٧: ١١١، عن كتاب الحميدي في الجمع بين كتب الصحاح الستة عند الجمهور.

((... ولكل شيء أساس وأساس الإسلام حبّنا أهل البيت))[١]

((من أحبّ أن يتمسّك بالعروة الوثقى فليتمسّك بحبّ علي وأهل بيتي))[٢]

((من رزقه الله حبّ الأئمة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة فلا يشكن أحدٌ أنه في الجنة فإن في حبّ أهل بيتي عشرين خصلة، عشر في الدنيا وعشر في الآخرة:

أما في الدنيا: فالزهد والحرص على العمل، والورع في الدين والرغبة في العبادة، والتوبة قبل الموت، والنشاط في قيام الليل واليأس مما في أيدي الناس، والحفظ لأمر الله ونهيه عزّ وجلّ والتاسعة بغض الدنيا والعاشرة السخاء.

وأما في الآخرة: فلا ينشر له ديوان، ولا ينصب له ميزان ويعطى كتابه بيمينه، ويكتب له براءة من النار، ويبيض وجهه ويكسى من حلل الجنة، ويشفع في مائة من أهل بيته، وينظر الله عزّ وجلّ

---

(١) المصدر السابق ٢٧: ٨٢ آخر الحديث رقم ٢٢ عن كتاب الأمالي لأبي علي الطوسي (ابن الشيخ).

(٢) المصدر السابق ٢٧: ٧٩ ح١٤ عن كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق.

إليه بالرحمة، ويتوج من تيجان الجنّة، والعاشرة يدخل الجنة بغير حساب، فطوبى لمحبّي أهل بيتي))[١].

وعن الإمام الحسن سلام الله عليه قال: ((مَن أحبّنا بقلبه ونصرنا بيده ولسانه فهو معنا في الغرفة التي نحن فيها، ومن أحبّنا بقلبه ونصرنا بلسانه فهو دون ذلك بدرجة، ومن أحبّنا بقلبه وكف بيده ولسانه فهو في الجنة))[٢].

---

(١) المصدر السابق ٢٧: ٧٨-٧٩ ح١٢، عن كتاب الخصال للشيخ الصدوق ٢: ٩٩، والحديث الشريف من الأحاديث الجامعة في توضيح آثار التوسل إلى الله بمحبتهم ومودتهم عليهم السلام فهو تفسير لمعنى قوله تعالى في سورة سبأ: ٤٧: ﴿مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾، بمعنى أن ثمار المحبة والمودة تعود على المتوسل نفسه، فهي تحليه بصفات المقربين في الدنيا من الزهد والورع والإجتهاد في العمل والرغبة في العبادة والاستغناء بالله عن الناس، لأن المحب الصادق مندفعٌ فطرياً للتخلّق بأخلاق مَن أحبَّ: فإذا تخلّق بها صار من المقرّبين الذين يفوزون في الآخرة بالمقامات الجليلة المذكورة في الشطر الثاني من الحديث.

(٢) بحار الأنوار ٢٧: ١٠١ ح٦٤ عن أمالي الشيخ المفيد، والحديث الشريف يشير إلى مراتب مودتهم عليهم السلام فكلما ترسخ حبهم في القلب أشتد ظهور آثاره على المتوسل ←

وعن الإمام الحسين سلام الله عليه قال: ((**من أحبّنا لله وَرَدْنا نحن وهو على نبينا ﷺ هكذا ـ وضمّ اصبعيه ـ، ومن أحبّنا للدنيا، فإن الدنيا لِتَسَع البرّ والفاجر**))[1]

وعن الإمام الباقر سلام الله عليه قال: ((... **والله لو أحبنا حجرٌ حشره الله معنا وهل الدين إلا الحب**))[2].

بحبهم في سلوكه العملي وبالتالي ارتفعت مرتبته في القرب من الله عزّ وجلّ.

(١) البحار ٢٧: ٨٤، ح٢٦ عن أمالي ابن الشيخ، ونقله في ص: ٩٠، ح٤٤ عن كتاب المحاسن للبرقي، وفي الحديث إشارةٌ إلى أثر الإخلاص إلى الله في محبتهم ومودتهم فالبركات الإلهية العظيمة لهذه الوسيلة تنزل على من يتوسل بهم قربة إلى الله واستجابة لأمره وهذا الإخلاص هو الذي يرفعه إلى مرتبة أن يكون معهم وفي زمرتهم. وإن كان الذي يحبهم من أجل الحصول على البركات الدنيوية لا يحرم منها ويحصل على ما يريده ولكنه غفل عنه النصيب الأوفى والبركات العظمى لمودتهم.

(٢) سفينة البحار للشيخ القمي ١: ٢٠٤، وفي الحديث إشارةٌ إلى أن حبهم ﷺ وسيلة نافعة للإنسان مهما كان ضعيفاً وعاجزاً عن الرقي إلى المعارج العالية، فحبهم ينفي عن الإنسان الضعف ويبعث فيه الهمة العالية التي تزيل عنه العقبات المانعة من التحرك في طي معارج الكمال والقرب من الله جل جلاله. أي أن حبهم ﷺ يجهز الإنسان بالطاقات اللازمة للتحرك نحو الكمال حتى لو كان فاقداً لها جميعاً ففقدان الحجر لها.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((من أحبنا أهل البيت وحقق حبنا في قلبه جرى ينابيع الحكمة على لسانه، وجدد الإيمان في قلبه وجدد لـه عمل سبعين نبياً وسبعين صديقاً وسبعين شهيداً وعمل سبعين عابداً عبد الله سبعين سنه))[١] .

وعنه عليه السلام: ((إن فوق كل عبادة عبادة، وحبنا أهل البيت أفضل عبادة))[٢] .

---

(١) البحار ٢٧: ٩٠، ح٤٣ عن محاسن البرقي، وفي الحديث إشارة إلى أن حبهم عليهم السلام هو علامة الإخلاص لله جل جلاله لأن الإخلاص هو العامل الأساسي في جريان ينابيع الحكمة وتفجرها في المؤمن كما ورد في الأحاديث الشريفة نظير المروي في الكافي (باب الإخلاص من كتاب الإيمان والكفر، ح٦) مسنداً عن الباقر عليه السلام قال: ((ما أخلص عبدٌ الإيمان بالله أربعين صباحاً... إلا زهده الله في الدنيا ... وأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه...))، أو نظير الحديث النبوي: ((ما أخلص عبد لله أربعين صباحاً إلاّ جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)).

(٢) البحار ٢٧: ٩١، ح٤٨ عن المحاسن، وعلى ضوئه يتضح اشتراط نية التقرب إلى الله في حبهم إذ أنّ النية شرط في العبادة وورد في نص الزيارة المروية عن الإمام الرضا عليه السلام لزيارة السيدة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام في قم: ((أتقرب إلى الله بحبكم والبراءة من أعدائكم والتسليم راضياً به غير منكر ولا مستكبر)): مفاتيح الجنان المعرب: ٥٦٤.

وعنه: ((**إن الله فرض ولايتنا وأوجب مودّتنا، والله ما نقول بأهوائنا ولا نعمل بآرائنا ولا نقول إلا ما قال ربنا عزّ وجلّ**))[١] .

وعن الإمام الرضا ـ سلام الله عليه ـ : أن محمد بن علي عن الفضيل قال له: أي شيء. أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله فيما افترض الله عليهم؟ فقال عليه السلام: ((**أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله طاعة الله وطاعة رسوله وحبّ الله وحب رسوله وأولي الأمر...**))[٢] .

وعنه عليه السلام قال: ((**لا تدعوا العمل الصالح والإجتهاد في العبادة اتكالاً على حبّ آل محمد عليهم السلام، ولا تدعوا حبّ آل محمد عليهم السلام والتسليم لأمرهم اتكالاً على العبادة ، فإنه لا يقبل أحدهما دون الآخر**))[٣] .

---

(١) البحار ٢٧: ١٠٢ ح٦٥ عن أمالي المفيد.

(٢) المصدر السابق: ٩١، ح٤٩ عن المحاسن، وطاعة الله وطاعة رسوله تقود إلى حب الله ورسوله وأوليائه والعكس صحيح أيضاً.

(٣) سفينة البحار ١: ٢٠٤. وفيه إشارة إلى بعض المودة هي التي تقبل وهي الدافعة إلى العمل الصالح والعكس صحيح أيضاً.

مودّتهم مفتاح الحصول على الفضل الإلهي الكبير :

والأحاديث الشريفة بهذه المضامين كثيرة يصعب إحصاؤها مروية من طرق الفريقين وفي مصادرهما المعتبرة، وما نقلناه منها ومن الآيات الكريمة واضحة الدلالة على حقيقة أن الله جلّت حكمته قد جعل التوسل إليه بمودة وحب أهل البيت عليهم السلام مفتاح الوصول إلى قربه وأكثر مصاديق التوسل بركة في إيصال المحب إلى مقصوده، فهو تقرّب إلى الله بحبّ أحب خلقه إليه جل جلاله وأكرمهم عليه وأقربهم منه.

الآيات الكريمة تصرح بأنّ من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فعليه بالتوسل إلى ذلك بمودة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، ومن خلال الجمع بين آيات المودّة الأربع المتقدمة يتضح أنّ من أعظم مصاديق رحمة الله تبارك وتعالى بعباده أن أمر نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله بأن يطلب من الناس على الخدمات العظيمة التي قدمها لهم إلى يوم القيامة بفتح أبواب الهداية إلى الله لهم؛ أجراً لا يتعدى بالنسبة له عنوان الأجر له على تبليغ الرسالة هو مظهر آخر من مظاهر الرحمة الواسعة بهم، فالهدف من ذلك هو إيجاد دافع إضافي للقيام بما دعاهم له، فيقومون به بدافع الوفاء والشكر لنبي الرحمة صلى الله عليه وآله، هذا الأجر هو: مودة أهل بيته ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ

وعدل قرآنه الكريم وجعل هذه المودّة مفتاح الحصول على ((الفضل الكبير)) والفوز بدار الكرامة في ((روضات الجنات)) وليس في الجنات العادية، ثم وعد بمضاعفة آثار التوسل بهذه الوسيلة المباركة من خزانة كرمه: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾[١].

حبّهم وسيلة التشبّه بأخلاقهم ثم التحلّي بها :

والأحاديث الشريفة تفصّل ما أجملته الآيات الكريمة من آثار التوسل بهذه الوسيلة المباركة وتصرح بأن حب أهل البيت سبب للحشر معهم والحظوة بسكنى مقعد الصدق معهم، وسبب للثبات على الصراط المستقيم والنجاة من الضلالات والانحرافات وأساس للتحقق بحقائق الإسلام والتمسك بالعروة الوثقى الموصلة إلى الله جل جلاله، والفوز بخير الدنيا والآخرة والتحلي بصفات أولياء الله ومقربيه وبالتالي الفوز بحبه عز وجل، والفوز بالحكمة التي من يؤتاها فقد أوتي خيراً كثيراً، والفوز بأفضل العبادة وأفضل ما يتقرب العباد به إلى مولاهم الحق جل جلاله.

---

(١) الشورى: ٢٣.

والتدبّر في النصوص المتقدمة ونظائرها يبيّن حقيقة حبّهم وعلامات صدق المتوسل إلى الله في حبّه لهم عليهم السلام، ولا يخفى أن من أبرز علامات صدق حبّهم طاعتهم والتشبّه بهم والغيرة عليهم والدفاع عنهم. كما أن من الواضح أن التدبّر فيما ورد في فضائلهم ومناقبهم والتأمل في سيرتهم ومظاهر رأفتهم بعباد الله وتفانيهم في خدمتهم والحرص على هدايتهم وإيصال الخير إليهم كل ذلك من العوامل المؤثرة في ترسيخ حبّهم في القلوب وبالتالي تقوية التوسل إلى الله بحبّهم: على أن أهم هذه العوامل هو طلب حبّهم ومودّتهم من الله عزّ وجلّ كرزق معنوي يتفضّل به على من يشاء.

٢ـ التوسّل إلى الله بموالاتهم والتسليم لهم :

قال عزّ من قائل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ...﴾[٢]

---

(١) آل عمران: ٣١.

(٢) النساء: ٥٩.

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾(١)

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾(٢)

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۞ وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(٣)

هم أمناء الله وأعلام الدين والحبل بينه وبين خلقه :

وعن رسول الله ﷺ قال:

((فاطمة بهجة قلبي وأبناها ثمرة فؤادي وبعلها نور بصري والأئمة من ولدها أمناء ربّي وحبل ممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجا ومن تخلّف عنهم هوى))(٤).

---

(١) النساء: ٨٣.

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) المائدة: ٥٥_٥٦.

(٤) البحار ٢٣: ١١٠، ح١٦ عن الزمخشري ويلاحظ أن النبي الأكرم ﷺ اختص القرآن ←

وعنه ﷺ: ((من أحبَّ أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي بها وهي جنة الخلد، فليتوال عليَّ بن أبي طالب وذريته من بعده، فإنهم لن يخرجوهم من باب هدىً ولن يدخلوهم في باب ضلالة))[1].

وعن علي أمير المؤمنين ﷺ قال: ((انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتّبعوا أثرهم))[2]، ((بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنّمتم ذروة العلياء..))[3]، ((عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته))[4]، ((... وبينكم عترة نبيّكم وهم أزِمّة الحقّ وأعلام الدين وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن ورِدُوهم ورود الهيم العِطاشِ))[5].

والعترة بوصف أنهما ((حبل ممدود بين الله وبين عباده))، وفي هذا الوصف كناية في لزوم التوسل بهم لمن يطلب القرب الإلهي.

(١) البحار ٢٣: ١١٠، ح١٧.

(٢) تصنيف نهج البلاغة (لبيب بيضون): ٣٤١ عن الخطبة (٩٧) من النهج.

(٣) المصدر السابق: ٣٤٠، من الخطبة (٤).

(٤) المصدر السابق: ٣٢٢، قصار الحكم ١٥٦.

(٥) المصدر نفسه: ٣٤١، الخطبة (٨٧). وفي الحديث إشارة إلى لزوم إستشعار المؤمن

بولايتهم استكمال الإيمان :

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: ((... والرّاد عليه في صغيرةٍ أو كبيرةٍ على حدّ الشرك بالله، فإنّ رسول الله ﷺ باب الله الذي لا يؤتى إلاّ منه، وسبيله الذي من سلكه وصل إلى الله، وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام من بعده، وجرى في الأئمة واحداً بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، وعمد الإسلام، ورابطه على سبيل هداه، ولا يهتدي هادٍ إلاّ بهداهم ولا يضلّ خارج من الهدى إلاّ بتقصير عن حقّهم، [لأنّهم] أُمناء الله على ما أهبط من علم أو عذر أو نذر...))[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((من سرّه أن يستكمل الإيمان فليقل: القول منّي في جميع الأشياء قول آل محمّد عليهم السلام فيما أسرّوا

لشدة افتقاره إلى التوسل بهم ـصلوات الله عليهمـ.

(١) البحار ٢٥: ٣٥٥ عن البصائر ومثله في الكافي، وتعبير ((رابطه على سبيل هداه)) تأييد لما تقدم في القسم الأول من البحث من أن معنى ((الوسيلة)) هو الرابطة بين العبد ومولاه الحقّ جل جلاله.

وفيما أعلنوا وفيما بلغني وفيما لم يبلغني))[١].

وعنه عليه السلام: ((من ردّ إلينا فقد سلم))[٢].

وعنه عليه السلام في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾**[٣]، قال: ((هم الأئمة ويجري فيمن استقام من شيعتنا وسلّم لأمرنا وكتم حديثنا عن عدوّنا تستقبله الملائكة بالبشرى من الله بالجنّة...))[٤]

هم باب الله الذي منه يؤتى ويعرف ويعبد :

وعنه: ((... نحن حجّة الله في عباده وشهداؤه على خلقه وأمناؤه على وحيه وخزّانه على علمه، ووجهه الذي يؤتى منه وعينه في بريّته ولسانه الناطق وبابه الذي يدلّ عليه، نحن العالمون [القائمون

---

(١) البحار ٢٥: ٣٦٥ عن مختصر البصائر، ويعرّفنا الإمام عليه السلام في هذا الحديث على مصداق راق للتقرّب إلى الله تعالى بالتسليم لهم عليهم السلام.

(٢) المصدر السابق: ٣٦٥، ح٤.

(٣) فصلت: ٣٠.

(٤) البحار ٢٥: ٣٦٥ ح٥، والمراد بكتمان حديثهم هو حفظ أسرارهم من غير أهلها وكذلك عن أعدائهم.

ج] بأمره والداعون إلى سبيله بنا عرف الله وبنا عبد الله، نحن الأدلاّء على الله، ولو لانا ما عُبِد الله))[١].

وعنه عليه السلام: ((إن الله أدَّب نبيّه على محبّته فقال: ﴿**إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٢]، قال: ثم فوّض إليه الأمر فقال: ﴿**مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[٣]، وقال ﴿**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**﴾[٤]، وإن رسول الله ﷺ فوّض إلى علي عليه السلام وائتمنه فسلّمتم وجحد الناس، فو الله لنحبّكم أن تقولوا إذا قلنا وأن تصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله، والله ما جعل لأحد من خير في خلاف أمرنا))[٥].

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: ((إنّ الله عزّ وجلّ أيّدنا بروح منه مقدّسة مطهّرة ليست بملك لم تكن مع أحد ممّن مضى إلاّ رسول الله ﷺ،

(١) البحار ٣٦: ٢٦٠ عن توحيد الصدوق.

(٢) القلم: ٤.

(٣) الحشر: ٥٩.

(٤) النساء: ٨٠.

(٥) البحار ٢٣: ٢٩٥، ح٣٤ عن تفسير العياشي.

وهي مع الأئمة منّا تسدّدهم وتوفّقهم، وهو عمود من نور بيننا وبين الله عزّ وجلّ...))[١].

وعنه عليه السلام قال: ((من سرّه أن ينظر إلى الله بغير حجاب، وينظر الله إليه بغير حجاب فليتول آل محمّد وليتبرّأ من عدوّهم وليأتمّ بإمام المؤمنين منهم، فإنّه إذا كان يوم القيامة نظر الله إليه بغير حجاب ونظر إلى الله بغير حجاب))[٢].

وقد رويت في المصادر المعتبرة عند الفريقين أحاديث أُخرى كثيرة فيها الكثير من الصحاح والمتواترة تصرّح بالمضامين التي تصرّح بها النماذج القليلة التي نقلناها فيما تقدّم والحجّة الإلهية فيها بالغة تامة.

---

(١) البحار ٢٥: ٤٨ ح٧ عن عيون أخبار الرضا عليه السلام .

(٢) البحار ٢٧: ٩٠، ح٤٢ عن كتاب المحاسن، وكذلك في البحار ٢٣: ٨١ ح١٧مع اختلاف يسير.

موالاتهم توصل المتوسل بها إلى منازل المقربين :

والحقيقة المحورية التي تهدينا إليها هذه النصوص المباركة هي أنّ من أعظم أبواب التوسل إلى الله وقربه ودار كرامته جل وعلا هو التمسّك العملي والقلبي بطاعة أهل بيت النبوة ـ صلوات الله عليهم ـ وأخذ الدين الحقّ منهم، واتّباعهم الموجب للفوز بحبّ الله الخاص لهم، وموالاتهم العملية والدخول فيما دخلوا والخروج ممّا خرجوا منه، والبراءة من أعدائهم، والرجوع إليهم في كل صغيرة وكبيرة، واجتناب الرد عليهم والتسليم المحض لأمرهم، والإقتداء بسيرتهم والتحلّي بخصالهم أو التشبّه بهم، والاندفاع بشوق وإخلاص للارتواء من معين معارفهم ومعارف التوحيد الخالص الذي لا يوجد عند غيرهم، وعبادة الله على وفق عبادتهم واستكمال الإيمان بمعرفتهم، والتأدب بآدابهم والعمل بوصاياهم والالتصاق بأحاديثهم وفتح القلوب لمواعظهم.

هذا الباب الأعظم في التوسل بهم ـ صلوات الله عليهم ـ يوصل المؤمن إلى أعلى منازل المقرّبين، فتكون حياته على وفق حياتهم وهي أسمى مصاديق الحياة الطيّبة الحافلة بكل ما يرضاه الله

لهم ويحبّه، ويكون مماته على وفق مماتهم الذي فيه ـ ورب الكعبة ـ الفوز الأكبر بلقاء الله جل وعلا، فيحشر معهم وفي حزبهم وهو حزب الله جل جلاله، ويصل إلى مقامات الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وإلى مراتب الذاكرين الله كثيراً الذين يكونون أهلاً لأن تتنزل عليهم ملائكة الله بالبشرى فتخاطبهم بها ويسمعون خطابها الروحاني.

مفتاح التطهّر من المعاصي واستجلاب الرحمات الخاصة :

المتوسل إلى الله تبارك وتعالى بهم ـ صلوات الله عليهم ـ من خلال باب طاعتهم واقتضاء آثارهم والتسليم لهم وموالاتهم يصل إلى ((الله)) قطعاً بلا ريب، إذ إنّه يفوز بدرجات العارفين بالله حقّاً والعابدين له حقّاً فينظر إلى الله دون حجاب من حجب الجهالات والضلالات والمعاصي، وينظر الله جل جلاله بنظرة الرحمة الخاصة التي تعني أن العبد قد أزاح جميع أشكال حجب عدم التأهل لهذه النظرة الرحمانية الرحيمية الكريمة الخاصة. فطوبى لمن فاز بذلك وطوبى له فهو من المفلحين حقّاً رزقنا الله وإياكم نفحةً من هذه

النفحات الكريمة. روى الشيخ الطوسي في الأمالي بإسناده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ((**جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما أستطيع فراقك، وإنّي لأدخل منزلي فأذكرك فأترك ضيعتي وأقبل حتى أنظر إليك حبّاً لك، فذكرت إذا كان يوم القيامة فأدخلت الجنة فرفعت في أعلى علّيين فكيف لي بك يا نبي الله؟ فنزل: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا﴾**[1] **فدعا النبي ﷺ الرجل فقرأها عليه وبشره بذلك**))[2]، وفي هذا الحديث الشريف إشارة إلى شدة الارتباط بين المصداق الأول للتوسل بهم وهو مودتهم والمصداق الثاني وهو موالاتهم وطاعتهم.

---

(١) النساء: ٦٩.

(٢) تفسير الميزان ٤: ٤١٣ـ٤١٤.

٣ـ التوسل إلى الله بطلب الاستغفار والتطهير منهم عليهم السلام :

قال الله جل جلاله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾[١].

وقال عز من قائل حاكياً قول أبناء يعقوب: ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ۞ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٢].

هم باب ((حطة)) الفضلى :

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق، ومثل باب حطّة يحطّ الله بها الخطايا))[٣]

وعنه صلى الله عليه وآله قال: ((من دان بديني وسلك منهاجي واتّبع سنّتي فليدن بتفضيل الأئمة من أهل بيتي على جميع أُمّتي، فإنّ مثلهم في هذه الأُمّة مثل باب حطّة في بني إسرائيل))[١].

---

(١) النساء: ٦٤.

(٢) يوسف: ٩٧ـ٩٨.

(٣) بحار الأنوار ٢٣: ١٢٣ ح٤٨، عن أمالي الطوسي، وهو من الأحاديث المشهورة المروية في الكثير من مصادر الفريقين بأسانيد صحيحة.

وعنه ﷺ: «... إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح ... ومثل باب حطّة من دخله نجا ومن لم يدخله هلك»[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «هؤلاء بنو إسرائيل نصب لهم باب حطّة، وأنتم يا معشر أُمّة محمّد نصب لكم باب حطّة أهل بيت محمّد ﷺ وأمرتهم باتّباع هداهم ولزوم طريقتهم ليغفر لكم بذلك خطاياكم وذنوبكم وليزداد المحسنون منكم، وباب حطّتكم أفضل من باب حطّتهم، لأنّ ذلك كان بأخاشيب[٣]، ونحن الناطقون الصادقون المؤمنون [المرتضون ـ خ] الهادون الفاضلون، كما قال رسول الله ﷺ: إنّ النجوم في السماء أمان من الغرق وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الضلالة في أديانهم لا يهلكون ما دام منهم من يتّبعون هديه وسنّته...»[٤].

---

(١) المصدر السابق: ١١٩، ح٣٩ عن أمالي الصدوق وهو أيضاً من الأحاديث الشريفة التي صحّت روايتها من طرق الفريقين.

(٢) المصدر السابق: ١١٩ـ١٢٠ ح٤٠ عن أمالي ابن الشيخ الطوسي.

(٣) أخاشيب جمع خشب، وفي المصدر، باب خشب.

(٤) المصدر السابق: ١٢٢ـ١٢٣، ح٤٧، عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام.

وعن الإمام الرضا عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[١]، قال: ((قال أبو جعفر [الباقر] عليه السلام: نحن باب حطّتكم))[٢].

الاستغفار والتطهّر بهم في حياتهم الظاهرية وبعدها:

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((إذا دخلت المدينة فاغتسل قبل أن تدخل أو حين تدخلها، ثم تأتي قبر النبي صلى الله عليه وآله ... [إلى أن قال عليه السلام وتقول...] اللّهم إنّك قلت: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ وإنّي أتيت نبيّك مستغفراً تائباً من ذنوبي [وفي رواية الصدوق في من لا يحضره الفقيه: يا رسول الله] وإنّي أتوجه بك إلى الله ربّي وربّك ليغفر لي ذنوبي ...))[٣].

---

(١) البقرة: ٥٨.

(٢) تفسير العياشي ١: ٤٥.

(٣) الكافي ٤: ٥٥٠ ح١، كنز الدقائق ٢: ٤٥٦، من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٦٧، تهذيب الأحكام ٦: ٥، وقد ورد في الحديث استحباب زيارة النبي صلى الله عليه وآله والدعاء له قبل الإستغفار به.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال: ((وأخرج البيهقي، عن أبي حرب الهلالي قال: حجّ أعرابي فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلم ـ: أناخ راحلته فعقلها، ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ووقف بحذاء وجه رسول الله ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ فقال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، جئتك مثقلاً بالذنوب والخطايا، مستشفعاً بك على ربّك لأنّه قال في محكم كتابه: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾[1] وقد جئتك بأبي أنت وأمّي مثقلاً بالذنوب والخطايا أستشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي وأن يشفع فيّ، ثم أقبل في عرض الناس وهو يقول:

يا خير مَن دُفنت في الترب أعظمه ... فطاب من طيبهن القاعُ والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم[2]

---

(١) النساء: ٦٤.

(٢) الدر المنثور ١: ٢٣٨، كنز العمال ٤: ٢٥٨، تفسير ابن كثير ٢: ٣٢٩ كما في كتاب العقائد الإسلامية ٤: ٣٢٩ـ٣٣٠ ولا يخفى أن الأعرابي المذكور ليس شخصاً عادياً ولعل مصادر الجمهور لم تذكر هويته لأسباب سياسية.

وورد في آخر دعاء التوسل بأهل بيت النبوة ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ الذي رواه المجلسي عن بعض الكتب المعتبرة[١] وهو مروي عنه الأئمة عليهم السلام: ((... يا سادتي وموالي إنّي توجّهت بكم أئمتي ... إلى الله وتوسّلت بكم إلى الله ... فاشفعوا لي عند الله واستنقذوني من ذنوبي عند الله فإنكم وسيلتي إلى الله وبحبّكم وقربكم أرجو نجاةً من الله ...))[٢]

وورد في الزيارة السابعة التي نقلها الشيخ القمي ضمن زيارات أمير المؤمنين عليه السلام ونقلها عن مصباح الزائر للسيد ابن طاووس تعليم الأئمة أن يقول في زيارته: ((... يا ولي الله إنّ لك مزور عنايةً فيمن زاره وقصده وأتاه وأنا وليّك وقد حططت رحلي بفنائك ولجأت إلى حرمك ولذت بضريحك لعلمي بعظيم منزلتك وشرف حضرتك وقد أثقلت الذنوب ظهري ومنعتني رقادي فما أجد حرزاً ولا معقلاً ولا ملجأً ألجأ إليه إلاّ الله تعالى وتوسّلي بك إليه

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٠٨.

(٢) المصدر السابق: ١١٠.

واستشفاعي بك لديه، فها أنا ذا نازلٌ بفنائك ولـك عنـد الله جـاهٌ عظيمٌ ومقامٌ كريم فاشفع لي عند الله ربك يا مولاي ...))(١)

وورد في ختام الزيارة المعروفة بالجامعة: ((... يا ولي الله إنّ بيني وبين الله عـزّ وجـلّ ذنوبـاً لا يـأتي عليهـا إلاّ رضـاكم فبحـق مـن أئتمنكم على سرّه واسترعاكم أمر خلقه وقرن طـاعتكم بطاعتـه لّمـا استوهبتم ذنوبي وكنتم شفعائي فإنّي لكم مطيعٌ ...))(٢) .

الاستغفار بهم عليهم السلام استعانة بالله للتطهّر:

لا يخفى أنّ الذنوب والخطايا ـ بمختلف مراتبها ـ هي من أهم العقبات الصادة للعبد عن القرب من مولاه الحق جل جلاله والحاجبة لـه عنه جل وعلا، والتطهّر منها بالصورة المطلوبة من أصعب المهمات السلوكية ولكن لا غنى لطالب القرب الإلهي عنها على كل حال، وقد فتح الله بفضله الحميم ورحمته الواسعة باباً مباركةً يستعين المؤمن بولوجها للتطهّر من الذنوب والخطايا الحاجبة

---

(١) المصدر نفسه: ٣٥٩.

(٢) المصدر السابق: ٥٥٠.

لـه عن مولاه الحق وتحقيق شروط التوبة منها، ألا وهي باب التوسل إليه جل جلاله بأوليائه المقرّبين أولئك ـ صلوات الله عليهم ـ لكي يستغفروا له الله ـ وهم ذوو الجاه العظيم عند ربهم ـ وضَمَن ـ بكمال رحمته ولطفه ـ للمتوسل الصادق بهذه الوسيلة المباركة غفران ذنوبه وتحقق مطلوبه ﴿**لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾، ﴿**سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ**﴾ ولا ريب أن أهل بيت النبوة والرحمة أرأف بالمتوسلين بهم من يعقوب عليه السلام بأبنائه، ﴿**نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾، ولا شك بأن أهل بيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أوثق عروة وأكرم مقاماً وأقرب وسيلة من باب حطة في بني إسرائيل. على أن كل هذه الوعود الإلهية الصادقة هي ضمانات وثيقة لنجاح طلبة المتوسل بأهل بيت النبوة المستغفر ربه تعالى به.

وقد تقدم في القسم الأول من البحث أن لأئمة العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام ما لرسول الله صلى الله عليه وآله من مقامات في الخلق ما خلا ما خرج بدليل، لذلك فإن باب التوسل إلى الله بالإستغفار بهم مما يحجب عن القرب الإلهي مفتوحٌ للمستغفرين التائبين، فلم أن يؤتوهم ويتوسلوا إلى الله بهم بهذا المصداق العظيم من مصاديق

التوسل المباركة، لا فرق في ذلك بين حياتهم الدنيوية الظاهرة وبعدها كما صرّحت بذلك الأحاديث الشريفة المتقدمة وغيرها.

شروط الاستغفار بهم:

وفي النصوص الشريفة المتقدمة إشارات ينبغي التدبّر فيها بعمق لمعرفة شروط تحقق المصداق الحقيقي للتوسل بهم ـ صلوات الله عليهم ـ لكي يستوهبوا ذنوب المتوسل عند الله، مثل: الإقرار في حضرتهم بالخطايا والذنوب ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾، ((جئتك مثقلاً بالذنوب والخطايا))، ((استنقذوني من ذنوبي))، ((وقد أثقلت الذنوب ظهري ومنعتني رقادي))...

ومثل الإعتقاد اليقيني بأنهم عليهم السلام هو وسيلة غفران الذنوب والخطايا: ((ومثل باب حطّة من دخله نجا ومن لا يدخله هلك)) ((ولا ملجأ ألجأ إليه إلاّ الله تعالى وتوسّلي بك إليه ...))، ((إنّ بيني وبين الله عزّ وجلّ ذنوباً لا يأتي عليها إلاّ رضاكم)).

ومثل العزم الصادق على طاعتهم: ((وأمرتم باتّباع هداهم ولزوم طريقتهم ليغفر لكم بذنوبكم وخطاياكم))، ((لما استوهبتم

ذنوبي وكنتم شفعائي فإنّي لكم مطيع ...)) ، ومثل ترسيخ مودّتهم في القلب: ((... وبحبّكم وقربكم أرجو نجاةً من الله ...)).

أعاذنا الله وإيّاكم من الغفلة عن هذه الوسيلة المباركة للتطهّر من ذنوبنا وخطايانا ـ بجميع مراتبها وأشكالها ـ ووفقنا بفضله وكرمه على ابتغاء هذه الوسيلة والتوجه إليهم وبهم إلى الله لكي يستوهبوا منه ذنوبنا ويوفقنا للتوسل بهم عليهم السلام أيضاً بمصاديق التوسل السابقة (المودة والموالاة) لشدّة الترابط بينها ولتأثيرها على هذا المصداق كما هو واضحٌ من الشروط المتقدمة.

٤ ـ التوسل إلى الله بأداء حقوقهم وصلتهم :

قال الله عزّ وجلّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[١]

﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ هُوَ**

---

(١) المجادلة: ١٢.

يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(١)

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾(٢)

﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣)

---

(١) التوبة: ١٠٣ـ١٠٤.

(٢) الأنفال: ٤١.

(٣) التوبة: ٩٩.

إكرامهم وذراريهم وقضاء حوائجهم والدفاع عنهم :

وعن رسول الله ﷺ قال: ((خيركم خيركم لأهلي من بعدي))[١]، ((من أراد التوسل إليّ وأن يكون لـه عندي يدٌ أشفع لـه بها يوم القيامة فليصل أهل بيتي ويدخل السرور عليهم))[٢].

((أربعة أنا الشفيع لهم يوم القيامة ولو أتوني بذنوب أهل الأرض: معينٌ [المعين-خ] لأهل بيتي، والقاضي لهم حوائجهم عندما اضطرّوا إليه والمحبّ لهم بقلبه ولسانه، والدافع عنهم بيده))[٣]

((أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريّتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم في أمورهم عندما اضطرّوا إليه، والمحّب لهم بقلبه ولسانه))[٤]

((من اصطنع إلى أحدٍ من أهل بيتي يداً كافيته يوم القيامة))[٥]

---

(١) بحار الأنوار ٢٣: ١٠٤ ح١، والجزء ٢٧: ١٠٤ ح٧٣، عن بشارة المصطفى وكشف الغمة.

(٢) بحار الأنوار ٣٦: ٢٢٧ ح١، عن أمالي الصدوق.

(٣) المصدر السابق ٢٧: ٧٧ـ٧٨ عن عيون أخبار الرضا عليه السلام والخصال.

(٤) المصدر نفسه: ٧٨ عن كتاب فردوس الأخبار للديلمي من حفاظ الجمهور.

(٥) المصدر السابق ٣٦: ٢٢٨ ح٦ عن المحاسن للبرقي.

صلة ذريتهم وأوليائهم :

وعنه ﷺ أيضاً قال: ((من وصل أحداً من أهل بيتي في دار الدنيا بقيراط كافيته يوم القيامة بقنطار)).(١)

((حرّمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي، ومن صنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فإنّي أجازيه غداً إذا لقيني يوم القيامة)).(٢)

((أشهدوني على أنفسكم بشهادة أن لا اله الا الله [إلى أن قال:] وأنّ علي بن أبي طالب وصي محمّد وأمير المؤمنين، وأنّ طاعته طاعة الله ورسوله، والأئمة من ولده، وأن مودّة أهل بيته مفروضة واجبة على كلّ مؤمن ومؤمنة، مع إقام الصلاة لوقتها، وإخراج الزكاة من حلّها ووضعها في أهلها، وإخراج الخمس من كلّ ما

---

(١) البحار ٣٦: ٢٢٨، ح٧ عن بشارة المصطفى.

(٢) المصدر السابق، ح٨ عن ابن بطريق في كتاب العمدة عن تفسير الثعلبي، ويستفاد من الندب إلى صلة من قدر من ولد عبد المطلب والإحسان إليهم، أن التوسل إلى الله بصلتهم يشمل أرحامهم ﷺ وإكرامهم إكراماً لهم صلوات الله عليهم فهو من علائم صدق المودة والمحبة.

يملكه أحدٌ من الناس حتى يرفعه [يدفعه ـ خ] إلى وليّ المؤمنين وأميرهم ومن بعده الأئمة من ولده، فمن عجز ولم يقدر إلاّ على اليسير من المال فليدفع ذلك إلى الضعفاء من أهل بيتي من ولد الأئمة، فمن لم يقدر على ذلك فلشيعتهم ممّن لا يأكل بهم الناس ولا يريد بهم إلاّ الله ...)).(١)

صلتهم تطهّر الأموال :

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ((يا أمير المؤمنين أصبت مالاً أغمضت فيه [وفي رواية: أغمضت في مطالبه حلالاً وحراماً وقد أردت التوبة ولا أدري الحلال منه والحرام وقد اختلط عليّ] أفلي توبة؟ قال عليه السلام: إئتني بخمسه، فأتاه بخمسه، فقال: هو لك، إنّ الرجل إذا تاب تاب ماله معه. [وفي الرواية قال: تصدّق

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ٩: ٥٥٣، ح٢١ من الباب ٤ من أبواب الأنفال من كتاب الخمس عن كتاب الطرف للسيد ابن طاووس. ويلاحظ في الحديث الشريف أولويات من يتقرب إلى الله تعالى بصلتهم، ومن استطاع الجمع بين جميع المراتب إكراماً لهم صلوات الله عليهم فتوسله أكمل.

بخمس مالك فإنّ الله رضي من الأشياء بالخمس وسائر المال لك حلال][١] .

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((مَن وصلنا وصل رسول الله ﷺ، ومَن وصل رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـ فقد وصل الله تبارك وتعالى))[٢] .

وعنه عليه السلام أنّه قال لأصحابه يوماً: ((أحببتمونا وأبغضنا الناس، وصدقتمونا وكذبنا الناس ووصلتمونا وجفانا الناس، فجعل الله محياكم محيانا ومماتكم مماتنا))[٣]

وقال: ((ما من شيء أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من إخراج الدرهم إلى الإمام، وإنّ الله عزّ وجلّ ليجعل لـه الدرهم في الجنّة مثل جبل أُحُد، ثم قال: إنّ الله سبحانه يقول: ﴿مَن ذا الَّذِي يُقْرِضُ الله قَرْضًا

---

(١) الوسائل ٩: ٥٠٦، الحديثان ٣و٤، من الباب ١٠ من أبواب ما يجب فيه الخمس من كتاب الخمس.

(٢) بحار الأنوار ٣٦: ٢٢٨، ح٥ عن المحاسن.

(٣) المصدر السابق ٢٧: ١٦٣، ح١٦.

حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[١] ثم قال: هو والله في صلة الإمام خاصّة))[٢].

وسُئل ﷺ عن قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾[٣] فقال: ((من ذلك صلة الرحم وغاية تأويلها صلتك إيّانا))[٤].

صلتهم وسيلة الفوز بدعائهم وعطائهم :

وعن الإمام الرضا ﷺ قال: ((... إنّ الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالاتنا وعلى أموالنا [موالينا] ... فلا تزووه عنّا ولا تحرموا أنفسكم دعاءنا ما قدرتم عليه، فإنّ إخراجه مفتاح رزقكم وتمحيص ذنوبكم وما تمهدون

---

(١) سورة الحديد: ١١.

(٢) البحار ٢٤: ٢٧٩، ح٧، عن الكافي.

(٣) الرعد: ٢١.

(٤) البحار ٢٣: ٣٦٨، ح١٤، عن تفسير العياشي، وفي الحديث إشارة إلى أن أسمى مراتب صلة الرحم تكمن في صلتهم ﷺ مثلما أنها تمثل أسمى مراتب ((إقراض الله)) كما يشير لذلك الحديث السابق.

لأنفسكم يوم فاقتكم والمسلم من يفي لله بما عهد إليه، وليس المسلم من أجاب باللسان وخالف بالقلب))[١].

وعن الإمام الجواد عليه السلام أنّ رجلاً قال بحضرته: إنّي لأحبّ محمداً وعليّاً [حبّاً ـظ] حتى لو قطّعت إرباً أو قرضت لم أزل عنه فقال عليه السلام: ((لا جرم أنّ محمّداً وعليّاً معطياك من أنفسهما ما تعطيهما أنت من نفسك، إنّهما ليستدعيان لك في يوم فصل القضاء ما لا يفي ما بذلته لهما بجزء من مائة ألف [ألف ـخ] جزء من ذلك.[٢]

(١) الوسائل ٩: ٥٣٨ ح٢، الباب٣، من أبواب الأنفال وما يختص به الإمام، كتاب الخمس، ولا يخفى أن صلتهم تعني توفير أفضل مواضع الإنفاق وقد تقدم في القسم الأول من البحث أنهم عليهم السلام مأمورون من الله عزّ وجلّ بأخذ الصلة من الناس لكي تكون وسيلة تطهيرهم للمنفقين، فالتوسل بصلتهم أحوج إلى تقديم الصلة لهم لكي يتقرب بذلك إلى الله عزّ وجلّ، وهم في الواقع في غنىً عن هذه الصلة.

(٢) البحار ٢٣: ٣٦٠، ح٨ عن تفسير العسكري عليه السلام، وفي ا لحديث قصّة بليغة يرويها العسكري عليه السلام تبيّن مصداقاً لعظمة عطائهم الذين يجازون به من وصل ذريتهم إكراماً لهم عليهم السلام.

تنوّع أساليب صلتهم ﷺ:

تهدينا النصوص الشريفة المتقدمة ـ ونظائرها كثيرة للغاية ـ إلى أحد المصاديق العظيمة والمباركة للتوسل إلى الله بأهل بيت النبوّة ـ صلوات الله عليهم ـ، وهو باب صلتهم بمختلف أشكال الصلة الواجبة منها والمندوبة، وسواءً بالتصدّق والإنفاق في سبيل الله نيابةً عنهم، أو إيصال ما أمكن من الصلات المادية والمعنوية لهم أو لذراريهم والمنسوبين إليهم أو لشيعتهم بأفضل ما توصل بهم الأرحام، أو بالسعي في قضاء حوائجهم وأُمورهم، أو في تقديم النذور إلى الله نيابةً عنهم أو باسمهم أو نيابةً عن ذراريهم، أو بناء مراقدهم والمشاهد التي لها ارتباط بهم كالحسينيات وإعمارها وغير ذلك من مصاديق صنائع المعروف لديهم؛ وإيثارهم بأحبّ ما يمتلكه المؤمن من موارد الإنفاق: فيجعل المتوسّل بهم حصّة لهم ﷺ من صفوة أمواله.

بركات صلتهم الدنيوية والأخروية :

والنصوص المتقدمة تصرّح بأنّ للتوسّل إلى الله بهم ـ صلوات الله عليهم ـ بهذه الصلات آثاراً مباركة في إيصال المؤمن إلى ما يأمله ويرجوه من القرب الإلهي والمراتب المعنوية بل والبركات الدنيوية أيضاً، فهي تصرّح بأنّ صلتهم بهذه الصلات سبب للتطهّر والتزكية وهذه شرط الفوز بمقامات القرب من الله تعالى ﴿**ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ**﴾[1]، ﴿**تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾[2]، ﴿**أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ**﴾[3].

كما أنّها تصرّح بأنّ صلتهم ـ صلوات الله عليهم ـ بمختلف أشكال الصلات، وسيلةٌ لمرافقهم ومجاورتهم والفوز بشفاعتهم والحظوة بأضعاف مضاعفة من ردّهم الجميل على هذه الصلات وما عند الله عزّ وجلّ أعظم.

---

(١) المجادلة: ١٢.

(٢) التوبة: ١٠٣.

(٣) التوبة: ٩٩.

كما أنّها تصرّح بأنّ صلتهم ـ سلام الله عليهم ـ سبب للفوز بدعائهم للمتوسّلين إلى الله بصلتهم، ودعاؤهم مستجاب لا يحجب وهو سكنٌ للذين يدعون الله لهم، وسبب للفوز بالدخول في رحمات الله الخاصة بعباده، وسبب لتمحيص الذنوب وتطهير الأموال من الحرام والشبهات ومفتاح للرزق الحلال الطيّب؛ وسبب لأعظم الخير وهو أن يكون محيا الواصل لهم محياهم ومماته مماتهم.

ثواب صلتهم بإهداء صالحات الأعمال لهم :

كما أنّها تصرّح بأنّ التوسّل إلى الله جل وعلا بصلتهم ـ سلام الله عليهم ـ سبب لأعظم الخير وهو أن يكون محيا الواصل لهم محياهم ومماته مماتهم، وفي الأحاديث الشريفة تصريح بأنّ لصلتهم بإهداء ثواب صالحات أعماله لهم أو إهداء ثواب عباداته لهم سبب لكمال أعماله في الدنيا وقبولها وأن يكون معهم في الحياة الأُخرى.

فقد روى الكليني في الكافي والطوسي في التهذيب مسنداً عن موسى بن القاسم قال: ((قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: قد أردت أن أطوف عنك وعن أبيك فقيل لي: إنّ الأوصياء لا يطاف عنهم فقال: بلى، طف ما أمكنك، فإنّ ذلك جائز.

ثم قلت لـه بعد ثلاث سنين: إنّي كنت قد استأذنتك في الطواف عنك وعن أبيك، فأذنت لي في ذلك، فطفت عنكما ما شاء الله، ثم وقع في قلبي شيء فعملت به، قال: وما هو؟ قلت: طفت يوماً عن رسول الله ﷺ، فقال ثلاث مرات: صلى الله على رسول الله، [قلت]: ثم اليوم الثاني [طفت] عن أمير المؤمنين عليه السلام ثم طفت اليوم الثالث عن الحسن عليه السلام، والرابع عن الحسين عليه السلام والخامس عن علي بن الحسين عليهما السلام، واليوم السادس عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام، واليوم السابع عن جعفر بن محمد عليهما السلام واليوم الثامن عن أبيك موسى عليه السلام ، واليوم التاسع عن أبيك علي عليه السلام ، واليوم العاشر عنك يا سيدي، وهؤلاء الذين أدين الله بولايتهم، فقال: إذاً والله تدين الله بالدين الذي لا يقبل من العباد غيره، فقلت: وربما طفت عن أُمّك فاطمة عليها السلام وربما لم أطف. فقال: استكثر من هذا فإنّه أفضل ما أنت عامله إن شاء الله.))[1]

(١) وسائل الشيعة ١١: ٢٠٠، ح١ من الباب (٣٦) (باب استحباب الطواف عن المعصومين أحياءً وأمواتاً) من أبواب النيابة في الحج من كتاب الحج.

أفضل الأعمال إهداء صالحات الأعمال لهم عليهم السلام:

فلاحظ قوله عليه السلام: ((بلى طف ما أمكنك)) وقوله ((استكثر من هذا فإنه أفضل ما أنت عامله))، وتدبّر في جواب الإمام الكاظم عليه السلام لعلي بن أبي المغيرة وقد قال لـه: ((... فإذا كان يوم الفطر جعلت لرسول الله صلى الله عليه وآله ختمةً [من تلاوة القرآن]، ولعليٍّ عليه السلام أُخرى، ولفاطمة عليها السلام أُخرى، ثم للأئمة عليهم السلام حتى انتهيت إليك فصيّرت لك واحدةً منذ صرت في هذه الحال فأي شيء لي بذلك؟

قال عليه السلام: لك بذلك أن تكون معهم يوم القيامة. قلت: الله أكبر فلي بذلك؟ قال: نعم، ثلاث مرات))[1].

ولنتدبّر أيضاً في هذا الحديث المروي في تهذيب الأحكام مسنداً عن داود الصرمي أنّه قال للإمام علي بن محمد الهادي عليهما السلام ((إنّي زرت آباءك وجعلت ذلك لك، فقال: لك بذلك من الله ثواب وأجر

---

(١) الوسائل ٦: ٢١٨، ح١ من الباب ٢٨: أبواب قراءة القرآن من أبواب القراءة من كتاب الصلاة.

عظيم ومنّا المحمدة))[1]. ولا يخفى أنّ القيام بالمستحبّات بنيّة النيابة عنهم وإهداء ثوابها لهم سببٌ لتزكية الأعمال وقبولها من قبل الله تبارك وتعالى إكراماً لهم عليهم السلام فيفوز المتوسل بذلك حبّاً لهم بثواب قبولها العظيم إضافة إلى ثواب أصل التوسل بهم وبركاته.

٥ ـ التوسل إلى الله بزيارتهم في حياتهم الظاهرية وبعدها:

من أعظم مصاديق التوسل إلى الله تبارك وتعالى بصلتهم - صلوات الله عليهم ـ زيارتهم في حياتهم وزيارة مراقدهم القدسية بعد وفاتهم عن قرب أو بعد، وهذا بحدّ ذاته من الأبواب العظيمة للتوسل بهم إلى قرب الله والحظوة منه بالمنزلة الرفيعة كما دلت على ذلك الكثير من الأحاديث الشريفة المروية في المصادر المعتبرة نكتفي فيما يلي بنقل طرف منها:

---

(١) الوسائل ١٤: ٥٩٣، ح١: من الباب ١٠٣، من أبواب المزار من كتاب الحج.

مشاهدهم من بقاع الجنة :

عن رسول الله ﷺ قال: ((من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله))[١] ، ((يا علي من زارني في حياتي أو بعد موتي ، أو زارك في حياتك أو بعد ذوتك، أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد موتهما ضمنت لـه يوم القيامة أن أخلّصه من أحوالها وشدائدها حتى أصيّره معي في درجتي))[٢] ، ((من زارني في حياتي وبعد مماتي كان في جواري يوم القيامة))[٣] ، ((يا أبا الحسن إنّ الله جعل قبرك وقبور ولدك بقاعاً من بقاع الجنة وعرصة من عرصاتها، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحنّ إليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم فيعمّرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرّباً منهم إلى الله، ومودّة منه لرسوله، أولئك ـ يا علي ـ المخصوصون بشفاعتي والواردون حوضي وهم زوّاري غداً في الجنة ...))[٤] .

---

(١) المصدر السابق: ٣٢٥، ح١١، الباب ٢ من أبواب المزار.

(٢) المصدر السابق: ٣٢٨ ح١٦.

(٣) المصدر نفسه: ٣٣٤، ح٥ من الباب ٣.

(٤) المصدر السابق: ٣٨٢ ح١، من الباب ٣٦.

الفوز بشفاعتهم والاسترزاق - المعنوي والمادي - بزيارة مراقدهم:

وفي حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((أنّ رسول الله ﷺ بكى بكاءً شديداً، فقال لـه الحسين عليه السلام: لم بكيت؟ قال: أخبرني جبرئيل أنّكم قتلى ومصارعكم شتّى، فقال لـه: يا أبه، فما لمن يزور قبورنا على تشتّتها؟ فقال: يا بني أولئك طوائف من أُمّتي يزورنكم يلتمسون بذلك البركة وحقيق عليّ أن آتيهم يوم القيامة فأخلّصهم من أهوال الساعة من ذنوبهم ويسكنهم الله الجنّة))[1].

وعن علي عليه السلام في حديث الأربعمائة قال: ((أُلمّوا برسول الله ﷺ إذا خرجتم إلى بيت الله الحرام، فإنّ تركه جفاء وبذلك أُمرتم، وأُلمّوا بالقبور التي ألزمكم الله حقّها وزيارتها واطلبوا الرزق عندها))[2].

---

(١) المصدر السابق: ٣٣٦، ح٢١ من الباب ٢، وفي هذا الحديث الشريف تنبيه إلى أن من كمال التوسل إلى الله بزيارتهم عليهم السلام الاجتهاد في زيارة جميع ما أمكن المؤمن من مشاهدهم وقبور ومشاهد الشهداء والأولياء من ذرياتهم عليهم السلام .

(٢) المصدر السابق: ٣٢٤، ح١٠ من الباب ٢، ولا يخفى أمر الإمام عليه السلام بطلب الرزق والدعاء لذلك في مراقدهم ومشاهدهم المشرّفة يشمل طلب الرزق المادي والمعنوي ←

وفي تهذيب الأحكام مسنداً عن يزيد بن عبد الله، عن أبيه، عن جدّه قال: ((دخلت على فاطمة عليها السلام فبدأتني بالسلام، ثم قالت: ما غدا بك؟ قلت: طلب البركة، قالت: أخبرني أبي ـ وهو ذا ـ أنّه من سلّم عليه وعليّ ثلاثة أيّام أوجب الله لـه الجنة، قلت لها: في حياته وحياتك؟ قالت: نعم وبعد موتنا))[١].

زيارة مشاهدهم سبب للمغفرة والتطهر بولايتهم :

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: ((أبشر يا حمران، فمن زار قبور شهداء آل محمّد عليهم السلام يريد الله بذلك وصلة نبيّه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمّه))[٢]، وعنه عليه السلام في زيارة السيدة الزهراء عليها السلام قال: ((إذا صرت إلى قبر جدّتك فاطمة عليها السلام فقل: يا ممتحنة امتحنك الله الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة وزعمنا أنّا لك أولياء ومصدّقون وصابرون لكلّ ما أتانا به أبوك صلى الله عليه وآله وأتى به

ـ كالعلم الإلهي والمعرفة الصحيحة والتوفيق لصالحات الأعمال ـ وهذا أهمّ من النوع الأول للرزق وإن كان طلب كلا النوعين ممدوح.

(١) المصدر السابق: ٣٦٧، ح١، الباب ١٨.

(٢) المصدر السابق: ٣٣٦، ح٢٢ من الباب ٢.

[وأتانا بهـ-خ] به وصيّه، فإنّا نسألك إن كنّا صدّقناك إلاّ ألحقتنا بتصديقنا لهما لنبشّر أنفسنا بأنّا قد طهرنا بولايتك))[١].

وعنه عليه السلام: ((من زار قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه كتبه الله في علّيين))[٢]. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((من أتى قبر أبي فقد وصل رسول الله صلى الله عليه وآله، ووصلنا وحرمت غيبته وحرم لحمه على النار ... وكان الله لـه من وراء حوائجه))[٣]. وعنه عليه السلام قال: ((من ترك زيارة أمير المؤمنين عليه السلام لم ينظر الله إليه ألا تزورون من تزوره الملائكة...))[٤]. وعنه عليه السلام قال: ((ما من أحد يوم القيامة إلاّ وهو يتمنى أنه زار [أنه من زوار-خ] الحسين بن علي عليهما السلام لما يرى لما يصنع بزوار الحسين بن علي من كرامتهم على الله))[٥].

---

(١) المصدر السابق: ٣٦٧-٣٦٨، ح٢ من الباب ١٨.

(٢)المصدر السابق: ١٤: ٤٢٤، ح٣٦ من الباب ٣٧ من أبواب المزار.

(٣)المصدر السابق: ٤٨٠، ح١ من الباب ٥٨.

(٤)المصدر السابق: ١٤: ٣٧٦ آخر الحديث ٢ من الباب ٣٣.

(٥) المصدر السابق: ٤٢٤، ح٣٧ من الباب ٣٧.

وعنه عليه السلام قال: ((إذا بعدت بأحدكم الشقة ونأت به الدار فليعل على منزله وليصل ركعتين وليؤم بالسلام إلى قبورنا فإن ذلك يصل إلينا. ولتسلم على الأئمة عليهم السلام من بعيد كما تسلم عليهم من قريب، غير أنك لا يصح أن تقول: أتيتك زائراً. بل تقول موضعه: قصدتك بقلبي زائراً إذ عجزت عن حضور مشهدك ووجهت إليك سلامي لعلمي بأنه يبلغك، صلى الله عليك، فاشفع لي عند ربك عزّ وجلّ. وتدعو بما أحببت))[1].

مقامات زوار الحسين عليه السلام ودعاء الصادق عليه السلام لهم:

وروي في الكافي وثواب الأعمال مسنداً من عدة طرق، عن معاوية بن وهب قال: ((استأذنتُ على أبي عبد الله عليه السلام فقيل لي: ادخل، فدخلت فوجدته في مصلاّه فجلست حتى قضى صلاته فسمعته وهو يناجي ربّه وهو يقول: يا من خصّنا بالكرامة وخصّنا بالوصيّة ووعدنا الشفاعة وأعطانا علم ما مضي وما بقي، وجعل

(١) المصدر السابق: ٥٧٧، ح٣، من الباب (٩٥)، وفي الحديث إقرار لاستحباب زيارتهم عليهم السلام من بعد أيضاً بنصوص الزيارات المروية لزيارتهم في مشاهدهم مع تغيير بعض ألفاظها التي لا تناسب السلام عليهم من بعد.

أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني ولزوّار قبر أبي الحسين صلوات الله عليه الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبةً في برنا ورجاءً لما عندك في صلتنا وسروراً أدخلوه على نبيّك صلواتك عليه وآله، وإجابة منهم لأمرنا وغيظاً أدخلوه على عدوّنا أرادوا بذلك رضاك، فكافهم عنّا بالرضوان، وأكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، واصحبهم وأكفهم شرّ كلّ جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك أو شديد وشرّ شياطين الجنّ والإنس، وأعطهم أفضل ما أمّلوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهليهم وقراباتهم.

اللّهم إنّ أعداءنا عابوا عليهم خروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا، وخلافاً منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي قد غيّرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلّبت على حفرة أبي عبد الله عليه السلام ، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا.

اللّهم إنّي استودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى توافيهم [حتى ترويهم] على الحوض يوم العطش.

[قال معاوية:] فما زال ـ وهو ساجد يدعو [الله ـ خ] بهذا الدعاء، فلمّا انصرف قلت: جعلت فداك، لو أنّ هذا الذي سمعت منك كان لمن لا يعرف الله لظننت أنّ النار لا تطعم منه شيئاً، والله لقد تمنيت أني كنت زرته ولم أحجّ.

فقال لي: ما أقربك منه، فما الذي يمنعك من زيارته؟! ثم قال: يا معاوية لم تدع ذلك؟ قلت: لم أدر أنّ الأمر يبلغ هذا كلّه، قال: يا معاوية من يدعو لزوّاره في السماء أكثر ممّن يدعو لهم في الأرض، يا معاوية لا تدعه، فمن تركه رأى من الحسرة ما يتمنّى أن قبره كان عنده، أما تحبّ أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والأئمة عليهم السلام؟! أما تحبّ أن تكون غداً ممّن ينقلب بالمغفرة لما مضى ويغفر له ذنوب سبعين سنة؟ أما تحبّ أن تكون غداً ممّن تصافحه الملائكة؟ أما تحبّ أن تكون غداً فيمن يخرج

وليس لـه ذنبٌ فيتبع به؟ أما تحبّ أن تكون غداً ممّن يصافح رسول الله ﷺ؟!))[١].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: ((من لم يقدر على زيارتنا فليزر صالحي إخواننا [صالحي إخوانه ـ خ] يكتب له ثواب زيارتنا، ومن لم يقدر على صلتنا فليزر [فليصل ـ خ] صالحي إخوانه يكتب لـه ثواب صلتنا))[٢].

---

(١) المصدر السابق: ٤١١ـ٤١٣، ح٧ من الباب ٣٧، والحديث جامع في توضيح مقامات زوار الإمام الحسين عليه السلام وفوز المتوسلين لله بها بنظائر هذا الدعاء العظيم لهم الوارد على لسان الإمام الصادق عليه السلام وأهل السماء وأهل بيت النبوة صلوات الله عليهم، ودعاؤهم مستجاب بلا ريب الأمر الذين يكشف عظمة البركات الحاصلة لزواره عليه السلام بإخلاص المتحملين في سبيل ذلك أشكال الصعاب المادية والمعنوية التي يشير إليها دعاء الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) الوسائل ١٤: ٥٨٥، ح١٠ من الباب ٩٧ من أبواب المزار، ولا يخفى أن من يصل صالحي إخوانه ويزورهم ينبغي أن يكون بالنية التي يشير إليها الإمام عليه السلام لكي يكون عمله توسلاً بهم صلوات الله عليهم إلى الله تعالى.

زيارتهم لتجديد العهد وزوارهم أكرم الوفود على الله :

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: ((إنَّ لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته وإنَّ من تمام الوفاء بالعهد [وحسن الأداء ـ خ] زيارة قبورهم، فمَنْ زارهم رغبةً في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة))[1].

وعنه عليه السلام قال: ((من زار قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام بشط الفرات، كان كمن زار الله في عرشه))[2].

وسُئل عليه السلام: ما لمن أتى قبر أحدٍ من الأئمة عليهم السلام؟ فقال: ((له مثل ما لمن أتى قبر أبي عبد الله [الحسين] عليه السلام))[1].

---

(١) الوسائل ١٤: ٣٢٢، ح٥ من الباب ٢، ويقول آية الله البهاري في رسالة له في آداب الزيارة: ((ينبغي لزوارهم أن يتوجهوا إليهم بنية تجديد العهد معهم عليهم السلام وإعلاء كلمتهم ورغم أنوف أعدائهم، وكذلك بنية زيارة المؤمن الكامل الخالص في إيمانه يحدوهم الأمل بشفاعتهم لغفران الذنوب ورجاء الحصول على الفيوضات الإلهية السامية، مراعين في كل ذلك الآداب المذكورة في كتب المزار))، تذكرة المتقين: ٦٢ من الترجمة العربية، إصدار دار الهادي بيروت.

(٢) الوسائل: ١٤: ٤١١، ح٥، من الباب ٣٧.

وقال عليه السلام ((... والذي أكرمنا بعد محمد ﷺ بالإمامة وخصنا بالوصية إن زوار قبري أكرم [لأكرم-خ] الوفود على الله عزّ وجلّ يوم القيامة...))[٢].

وعن الإمام الجواد عليه السلام: ((ضمنت لمن زار قبر أبي عليه السلام بطوس عارفاً بحقه الجنة على الله عزّ وجلّ))[٣].

وعنه عليه السلام قال: ((من زار قبر عمتي بقم فله الجنة))[٤].

وعن الإمام الهادي عليه السلام قال لرجلٍ من أهل الري كان قد زاره بعد زيارة الحسين عليه السلام: ((أما إنك لو زرت قبر عبد العظيم عندكم لكنت كمن زار الحسين بن علي عليهما السلام))[٥].

وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال: ((قبري بسر من رأى أمانٌ لأهل الجانبين))[١].

---

(١) المصدر السابق: ٥٤٦، ح٦، الباب ٨٠.

(٢) المصدر نفسه: ٥٥٩، ح٢٣ من الباب ٨٢.

(٣) المصدر نفسه: ٥٥٣، ح٧ من الباب ٨١.

(٤) الوسائل: ١٤: ٥٧٦، ح٢ من الباب ٩٤.

(٥) المصدر السابق: ٥٧٥ ح١، من الباب ٩٣.

وسيلة لجوار الله والأمن من الفزع الأكبر :

هذه نماذج قليلة اخترناها من مئآت الأحاديث الشريفة المبيّنة لعظمة آثار هذه الوسيلة المباركة في تقريب المتوسل بها من مولاه الحقّ جل جلاله، وقد اقتصرنا في اختيار النصوص المبيّنة للآثار المعنوية للتوسل إلى الله بزياراتهم ـ صلوات الله عليهم ـ وهي المحور الأصلي لهذا البحث، على أنّ الأحاديث الشريفة تتحدّث أيضاً عن الكثير من الآثار والبركات المادية لزياراتهم على زائريهم.

الأحاديث المتقدّمة تصرّح بأنّ زيارتهم تثمر زيارة الله جل وعلا في عرشه، وفي ذلك كناية عن غاية القرب من الله جل جلاله وتثمر الفوز بجوارهم يوم القيامة أي الحظوة بأكرم مقاعد الصدق في الجوار الإلهي القدسي، وتثمر الحصول على ضمانات منهم ـ صلوات الله عليهم ـ بإنقاذ المتوسل إلى الله بزياراتهم من أهوال القيامة وشدائدها ودخوله في زمرة الفائزين بكرامة الله جل جلاله وعباده المكرمين الآمنين من الفزع الأكبر، المخصوصين بشفاعتهم والمرتوين

---

(١) الوسائل: ١٤: ٥٧١، ح٢ من الباب ٩٠.

من حوضهم الطهور، الذين وجبت لهم مراتب العلّيين من روضات الجنات، إذ تطهروا بالتوسل إلى الله بزياراتهم من الذنوب وتنوّروا بأنوار التوبة والتزكية الخاصة التي يتلونها هم مباشرة ((لنبشّر أنفسنا بأنّنا قد طهرنا بولايتك))؛ وبذلك يكون زوّارهم أكرم الوفود على الله عزّ وجلّ يوم القيامة.

والتوسل إلى الله جل جلاله بالمواظبة على زياراتهم سبب للفوز بالنظرة الإلهية الخاصة ونفحاتها الكريمة، والفوز بدعائهم ومعهم دعاء أهل السماء لزوّارهم بكل خير وهو دعاءٌ مستجاب بلا ريب عظيم البركات على المدعو لهم، ويكفي لمعرفة نبذة من عظمة بركاته التدبّر فيما نقلناه آنفاً من دعاء الإمام الصادق عليه السلام للزوّار المخلصين.

التوسل المخلص إلى الله بزياراتهم ـ صلوات الله عليهم ـ سبب يتمسّك به المؤمن في الدنيا لكي يفوز بزيارته لهم في مقاعد الصدق في الآخرة ومصافحة رسول الله ﷺ بل وزيارتهم هم عليهم السلام لـه يوم القيامة في اليوم الذي يذهل الإنسان عن أُمه وأبيه وصاحبته وبنيه

ويكون كل امرء يومئذٍ منشغل بنفسه عن غيره، فيستنقذونه من كلّ ذلك ويلحقونه بصفوفهم.

رعاية آداب الزيارة :

ولا يخفى أنّ الحصول على هذه الثمار المباركة مشروط بالإخلاص والعمل بآداب زياراتهم المشار إلى بعضها في النصوص المتقدمة والمذكورة في كتب العبادات والجاميع الحديثية وأهمّها معرفة حقّهم ورعاية حرمة حضورهم في حياتهم الظاهرية وبعدها، فكلما اشتدّ إخلاص المتوسل بزياراتهم إلى الله واشتدّت رعايته لآداب الزيارة كلما حصل على ثمار أعظم وأعلى مرتبةً، على أنّ كل زائر لهم لا يحرم من مرتبة من مراتب هذه الثمار العظيمة.

وممّا لا شك فيه أنّ ممّا يعين الحصول على ثمار أعظم لهذه الوسيلة هو زيارتهم بنصوص الزيارات المروية عنهم عليهم السلام بحضور قلب وبالتدبّر فيها والسعي للتحقّق بالحقائق الواردة فيها.

ويلاحظ في الأحاديث المتقدمة حرصها على فتح أبواب التوسل إلى الله تبارك وتعالى بزياراتهم أمام المؤمنين في مختلف الأوضاع والحالات عن قرب لما استطاع إليهم أو إلى مراقدهم سبيلاً

وعن بعد لمن لم يستطع ذلك أو صدّته عن ذلك عقبات معيّنة أو لم يحالفه التوفيق لذلك.

كما أنّ في النصوص الشريفة المتقدّمة تصريحات بأنّ الثمار المترتّبة على زيارة سيدهم الرسول الأعظم ﷺ أو أميرالمؤمنين عليه السلام أو سيد الشهداء عليه السلام أو الإمام الرضا عليه السلام، تحصل من زيارة أي منهم عليهم السلام، أجل ثمّة تفاضل وخصوصيات معينة لزيارة كل منهم لـه ارتباط بالأوضاع والمناسبات المختلفة.

وفي الأحاديث الشريفة المتقدّمة تصريحات ببركات وثمار زيارة مراقد أبناء الأئمة عليهم السلام وصالحي شيعتهم ومواليهم وأنّها من سنخ بركات وثمار زيارات المعصومين صلوات الله عليهم.

وتشهد تجارب المؤمنين عموماً وأهل السير والسلوك خاصة بعظمة البركات الحاصلة فعلاً من هذه الوسيلة القدسية المعنوية منها والمادية. وأن مشاهدهم المشرّفة هي حقّاً ((من بقاع الجنة وعرصة من عرصاتها))، وهي حقاً محال نزول الملائكة؛ ولذلك فإن مجاورة محال مراقدهم ـ مع رعاية آداب زيارتهم وجوارهم ـ: ((وسيلة إلى أن يسكنونا في جوارهم في دار قرارهم ويشملونا

بمبارّهم ويشركونا في مسارّهم))[١].

٧ـ التوسل إلى الله بالصلاة عليهم والدعاء لهم :

قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢].

وعن النبي الأكرم ﷺ قال:

((ما من دعاء إلاّ وبينه وبين السماء حجاب حتى يصلّي على النبيّ محمّد وعلى آل محمّد، فإذا فعل ذلك انخرق ذلك الحجاب ودخل الدعاء، وإذا لم يفعل ذلك رجع الدعاء))[٣]، ((من صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة ولم يبق رطبٌ ولا يابس إلاّ وصلّى على ذلك العبد لصلاة الله عليه))[٤].

---

(١) كشف المحجة لثمرة المهجة، للسيد ابن طاووس: ١٧٥، طبعة مركز النشر في مكتبة الإعلام الإسلامي-قم-.

(٢) الأحزاب: ٥٦.

(٣) البحار: ٢٧: ٢٥٨، ح٧ عن فردوس الأخبار للديلمي.

(٤) البحار ٢٧: ٢٥٩، ح٩، وتفسير كنز الدقائق ١٠: ٤٣٧، وسيأتي أن صلاة الله على عبده تعني إنزال الرحمات الخاصة عليه، وصلاة الملائكة على العبد الإستغفار له ←

((صلاتكم عليّ إجابة لدعائكم وتزكية لأعمالكم))[١]، ((لايزال الدعاء محجوباً حتى يصلّى عليّ وعلى أهل بيتي))[٢]، ((الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق))[٣]، ((ارفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ فإنّها تذهب بالنفاق))[٤]، ((من صلّى عليّ صلّى الله عليه وملائكته فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر))[٥]، ((... أنّ الرجل من أمّتي إذا صلى عليّ واتبع بالصلاة على أهل بيتي فُتِحت لـه أبواب السماء وصلّت عليه الملائكة سبعين صلاة ـ وأنّه لمذنب خطيّ، ثم تحاتّ عنه الذنوب كما تحاتّ الورق عن الشجر ويقول الله تعالى: لبّيك عبدي وسعديك، يا ملائكتي، أنتم

أما صلاة المؤمن على النبي وآله فهي الدعاء لهم ـ صلوات الله عليهم ـ؛ كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ((الصلاة من الله عزّ وجلّ رحمة، ومن الملائكة تزكية، ومن الناس الدعاء)) (كنز الدقائق ١٠: ٤٣٢).

(١) وسائل الشيعة ٧: ٩٦، ح١٥ من الباب ٣٦ من أبواب الدعاء.

(٢) المصدر السابق ٧: ٩٥، ح١٣.

(٣) الوسائل ٧: ١٩٣، ح٣ من الباب ٣٤ من أبواب الذكر من كتاب الصلاة.

(٤) المصدر السابق، ٧: ١٩٢، ح٢.

(٥) الوسائل ٧: ١٩٤، ح٦ من الباب ٣٤ من أبواب الذكر.

تصلّون عليه سبعين صلاة ـ وأنا أصلّي عليه سبعمائة صلاة وإذا لم يتبع بالصلاة على أهل بيتي كان بينها وبين السماء سبعون حجاباً، ويقول الله جل جلاله: لا لبّيك ولا سعديك يا ملائكتي لا تصعّدوا دعاءه إلا أن يلحق بالنبي عترته. فلا يزال محجوباً حتى يلحق بي أهل بيتي))[١].

الاستعانة بالصلاة عليهم لاستجابة الدعاء:

وعن الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((كل دعاء محجوب حتى يصلّي على محمّد وآل محمّد))[٢]، ((إذا كانت لك إلى الله حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، ثم سل حاجتك، فإنّ الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الأخرى))[٣]، ((صلّوا على محمّد وآل محمّد، فإنّ الله تعالى يقبل دعاءكم عند ذكر محمّد ودعاءكم له وحفظكم إياه))[٤]، ((... فأكثروا من الصلاة على نبيّكم وآله...))[١].

---

(١) تفسير كنز الدقائق ١٠: ٤٣٦ عن ثواب الأعمال للصدوق.

(٢) بحار الأنوار ٢٧: ٣٦٠، ح١٥ عن مناقب الصحابة للسمعاني.

(٣) الوسائل ٧: ٩٧ ح١٨ من الباب ٣٦ من أبواب الدعاء.

(٤) تفسير كنز الدقائق ١٠: ٤٣٠ عن كتاب الخصال.

وفي دعاء الإمام السجاد عليه السلام: ((وصلّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ صلاة دائمةً نامية، لا انقطاع لِمَدَدِها، ولا منتهى لأمدها، واجعل ذلك عوناً لي وسبباً لنجاح طلبتي))[٢].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال في جواب من سأله عن أفضل الأعمال يوم الجمعة: ((لا أعلم عملاً أفضل من الصلاة على محمّد وآل محمّد))[٣].

---

(١) المصدر السابق: ٤٣٢ عن كتاب التوحيد للصدوق.

(٢) آخر الدعاء (٢٢) من أدعية الصحيفة السجادية.

(٣) تفسير كنز الدقائق ١٠: ٤٣٨، وينقل آية الله الشيخ محمد تقي الأصفهاني فيما كتبه من مكاشفاته التي نشر مقتطفات منها بعد وفاته: ((كنت ليلة في مسجد السهلة فالتقيت سحراً أحد رجال الغيب وعرضت عليه الكثير من الأسئلة وكان ينقل لي أجوبتها عن الإمام المهدي(عج) وكنت أكتبها لكي لا أنساها، وكان أحد أسئلتي هو: علموني ذكراً ينفعني في جميع الحاجات، فكان الجواب هو: ليس ثمة ذكرٌ أقرب للقبول عند الله من الصلوات على محمد وآله.)) (كتاب آثار وفضايل الصلوات على محمد وآله (بالفارسية): ١٠٩)

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((إنّ رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، إنّي جعلت ثلث صلاتي لك، فقال له: خيراً فقال له: يا رسول الله، إنّي جعلت نصف صلاتي لك، فقال له: ذاك أفضل فقال: إنّي جعلت كلّ صلاتي لك، فقال: إذن يكفيك الله عزّ وجلّ ما أهمّك من أمر دنياك وآخرتك.)). وفي حديث آخر سأل أبا بصير الإمام الصادق عليه السلام عن معنى جعل الصلاة كلّها له فقال عليه السلام: ((يقدّمه بين يدي كل حاجة، فلا يسأل الله عزّ وجلّ شيئاً حتى يبدأ بالنبي صلى الله عليه وآله فيصلّي عليه ثم يسأل الله حوائجه))[١].

وقال عليه السلام في جواب من قال له: إنّي دخلت البيت [الحرام] ولم يحضرني شيءٌ من الدعاء إلاّ الصلاة على محمّد وآله، قال: ((أما إنه لم يخرج أحدٌ بأفضل ممّا خرجت به))[٢].

---

(١) وسائل الشيعة ٧: ٩٣ ـ ٩٤، الحديثان ٣، ٤ من الباب ٣٦ من أبواب الدعاء من كتاب الصلاة، عن الكافي وثواب الأعمال.

(٢) الوسائل ٧: ١٩٣، ح٥، الباب ٣٤ من أبواب الذكر من كتاب الصلاة، عن الكافي.

الصلاة عليهم وسيلة الخروج من الظلمات إلى النور :

وعنه عليه السلام قال: ((... من صلّى على محمّد وآل محمّد عشراً صلّى الله عليه وملائكته مائة مرّة... أما تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾))[١] [٢].

وعنه عليه السلام: ((... فما من عبد يصلّي على النبيّ ﷺ أو يسلّم عليه إلاّ بلغه ذلك وسمعه))[٣]، ((... وأنّ المصلّي على محمّد وآله ليلة الجمعة ويوم الجمعة يزهر [يظهر ـخ] نوره في السموات إلى يوم الساعة، وأنّ ملائكة الله يستغفرون له...))[٤].

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: ((من لم يقدر على ما يكفّر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمّد وآل محمّد فإنّها تهدم الذنوب

---

(١) الأحزاب: ٤٣.

(٢) الوسائل ٧: ٢٠٠، ح١ من الباب ٤٠ أبواب الذكر عن الكافي، وفي الحديث إشارة إلى الإكثار من الصلاة على محمد وآله ـصلوات الله عليهم أجمعين ـ مفتاح الخروج من ظلمات المعاصي والعبوديات الزائفة إلى نور عبودية الله وحده.

(٣) تفسير كنز الدقائق ١٠: ٤٣٦ عن الخصال للشيخ الصدوق.

(٤) تفسير كنز الدقائق ١٠: ٤٣٩ عن كتاب المقنعة للشيخ المفيد.

هدماً))[1]، ((الصلاة على محمّد وآله تعدل عند الله عزّ وجلّ التسبيح والتهليل والتكبير))[2].

وعن الإمام العسكري عليه السلام قال: إنّما اتّخذ الله عزّ وجلّ إبراهيم خليلاً لكثرة صلاته على محمّد وأهل بيته صلوات الله عليهم))[3].

الاقتداء بالله وملائكته في الصلاة عليهم :

تأمر النصوص الشريفة المتقدّمة بالصلاة على محمّد وآله ـ صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ـ وتقديم الدعاء لهم، والصلاة عليهم هي بحدّ ذاتها دعاء لهم إذا كانت من المؤمنين فإنّ: ((أصل الصلاة الانعطاف فصلاته تعالى انعطافه عليه بالرحمة انعطافاً مطلقاً لم يقيّد في الآية بشيء دون شيء وكذلك صلاة الملائكة عليه انعطاف عليه بالتزكية والاستغفار وهي من المؤمنين الدعاء بالرحمة. وفي ذكر صلاته تعالى وصلاة ملائكته عليه صلى الله عليه وآله قبل أمير المؤمنين

(١) الوسائل ٧: ١٩٤ ح٧، الباب ٣٤ من أبواب الذكر.
(٢) المصدر السابق: ١٩٤، ح٨.
(٣) المصدر نفسه: ١٩٤، ح٩ عن علل الشرائع للشيخ الصدوق.

بالصلاة عليه دلالة على أنّ في صلاة المؤمنين لـه إتباعاً لله سبحانه وملائكته ... وقد استفاضت الروايات من طرق الشيعة وأهل السنّة أنّ طريق صلاة المؤمنين أن يسألوا الله تعالى أن يصلّي عليه وآله))[١].

وعندما تأمر هذه الآية الكريمة بإتباع الله وملائكته بالصلاة على النبي وآله -صلوات الله عليه-، فإنّها بذلك تفتح للمؤمنين أحد أعظم أبواب الرحمة الإلهية الخاصة، فهي تفتح لهم أبواب التوسل إلى الله الفوز بوسيلة تشتمل على الخير الكثير وأعظم الآثار في إيصال طالب القرب الإلهي إلى مقصوده الأسمى وطالب خير الدارين إلى ما يأمله.

التطهر من النفاق وإزالة الحجب بالصلاة عليهم :

فالتوسل إلى الله بتقديم حبيبه محمّد وآله في الدعاء والصلاة عليهم -صلوات الله عليهم- طريق المؤمنين إلى الفوز بصلاة الله عليهم وصلاة ملائكته وهي صلاة ثمرتها الكبرى أنّها تخرجهم من

---

(١) تفسير الميزان ١٦: ٣٣٨، والتفسير مأخوذ من حديث للإمام الصادق عليه السلام تجده في الوسائل ٧: ٩٣ ح٤.

ظلمات البعد إلى نور القرب الإلهي، ووسيلة للتطهّر من النفاق وهو أهم الأمراض القلبية التي تحجب الإنسان عن ربّه ووسيلة لفوز المتوسلين بها باستغفار الملائكة لهم وبالتالي وسيلة لرفع الحجب المانعة من رفع دعائهم إلى الله جل جلاله، وهي وسيلة لتزكية الأعمال وتأهيلها بذلك لكي تكون مقبولة عند الله عزّ وجلّ فتكون بذلك عوناً للمتقرّب إلى الله ونجاحه في الحصول على طلبته.

وتنوّر قلبه إثر غفران ذنوبه وفوزه بحبّ الله جلّ وعلا والحظوة بما هو أهله من مراتب ((خليل الرحمن)). ولذلك فلا غرابة أن تكون الصلاة عليهم وتقديم الدعاء لهم ـ صلوات الله عليهم ـ أفضل الأعمال.

آثار الغفلة عن التوسل لله بالصلاة عليهم :

رزقنا الله وإياكم الرغبة في إكثار التوسل إلى الله بالصلاة على محمّد وآله ـ صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ـ وتقديم الدعاء لهم ـ على كل ما ندعو الله لأنفسنا ـ فندعو أولاً لهم بالمزيد من رفيع الدرجات وإيصالهم إلى كلّ ما يأملون من مراتب الكرامة ومتواتر الرحمة، وأنقذنا الله من مهاوي الجهالة والغرور المؤدّية إلى عدم

الرغبة في التوسل بهذه الوسيلة كما ينبهنا لذلك الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: ((إذا ذكر النبي ﷺ فأكثروا الصلاة عليه، فإنّ من صلّى على النبي صلاةً واحدة صلّى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة، ولم يبق شيءٌ مما خلقه الله إلاّ صلّى على العبد لصلاة الله [عليه-خ] وصلاة ملائكته، فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور قد برئ الله منه ورسوله وأهل بيته))[1].

ولا يخفى أن بركات وآثار الصلاة عليهم -صلى الله عليهم- تتناسب مع إخلاص المتوسل إلى الله بهذه الوسيلة ودرجة اقباله في الدعاء له وشدّة حبّه لهم ومعرفته بمقاماتهم.

---

(١) الوسائل ٧: ١٩٣، ح٤ من الباب ٣٤ من أبواب الذكر من كتاب الصلاة عن الكافي وثواب الأعمال.

٧ ـ التوسل إلى الله بذكرهم وإحياء أمرهم:

قال الله تعالى: ﴿وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[١].

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[٢].

ذكرهم عبادة وشفاء للصدور:

وعن رسول الله ﷺ قال: ((... وأما نفثاته [يعني الشيطان] فإنه يُري أحدكم أنّ شيئاً ـ بعد القرآن ـ أشفى لـه من ذكرنا أهل البيت ومن الصلاة علينا، فإنّ الله عزّ وجلّ جعل ذكرنا أهل البيت شفاء للصدور وجعل الصلاة علينا ماحية للأوزار والذنوب ومطهّرة من العيوب ومضاعفة للحسنات))[٣]، ((ذكر علي بن أبي طالب عبادة))[٤].

---

(١) هود: ١٢٠.

(٢) الحج: ٣٢.

(٣) مستدرك الوسائل للميرزا النوري ٢: ٤٠٤ (من الطبعة العربية القديمة)، ح٣: من الباب ٢٣ من أبواب المعروف، البحار ٣٦: ٢٣٣، ح١.

(٤) البحار ٣٦: ٢٢٩، ح٩ عن المناقب لابن شاذان.

((إنّ الله تعالى جعل لأخي علي بن أبي طالب عليه السلام فضائل لا تحصى كثرة فمن قرأ فضيلة من فضائله مقرّاً بها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة يستغفرون لـه ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر لـه الذنوب التي اكتسبها بالسمع، ومن نظر إلى كتابة من فضائله غفر الله لـه الذنوب التي اكتسبها بالنظر...))[1]

((ما اجتمع قوم يذكرون فضل عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلاّ هبطت عليهم ملائكة السماء حتى تحفّ بهم، فإذا تفرّقوا عرجت الملائكة إلى السماء، فيقول لهم الملائكة: إنّا نشمّ من رائحتكم ما لا نشمّه من الملائكة فلم نرَ رائحة أطيب منها فيقولون كنّا عند قوم يذكرون محمّداً وأهل بيته عليهم السلام فعلق علينا من ريحهم فتعطّرنا. فيقولون: اهبطوا بنا إليهم، فيقولون: تفرّقوا ومضى كل واحد إلى منزله، فيقولون: اهبطوا بنا حتى نتعطّر بذلك المكان))[2].

---

(١) البحار ٣٦: ٢٢٩، ح١٠.

(٢) مستدرك الوسائل ٢: ٤٠٤، ح٣، الباب ٢٣ من أبواب المعروف.

البكاء لمظلوميتهم والحزن لما أصابهم :

وعن الإمام السجاد عليه السلام قال: ((أيّما مؤمنٍ دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام حتى تسيل على خدّيه، بوّأه الله بها [في الجنة] غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيّما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خدّه فيما مسّنا من الأذى من عدوّنا في الدنيا بوّأه الله مبوّأ صدق، وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خدّه من مضاضة ما أوذي فينا، صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار))[١].

الفوز بالرحمة والتأييد القدسي :

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: ((... رحم الله من أحيى أمرنا))[٢] ((والله يا كميت لو كان عندنا مال لاعطيناك منه، ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لحسّان: لا يزال معك روح القدس ما ذببت عنّا))[٣].

---

(١) وسائل الشيعة: ١٤: ٥٠١ ح٣، الباب ٦٦ من أبواب المزار من كتاب الحج.

(٢) الوسائل ١٤: ٥٨٧ ح٢، الباب ٩٨ من أبواب المزار.

(٣) الوسائل ١٤: ٥٩٤، ح٢، الباب ١٠٤ من أبواب المزار.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: شيعتنا الرحماء بينهم الذين إذا خلوا ذكروا الله، إنّا إذا ذُكِرنا ذُكِر الله))[١] وتزاوروا، فإنّ في زيارتكم إحياءً لقلوبكم وذكراً لأحاديثنا وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم، وإن تركتموها ضللتم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم))[٢]، ((فإنّ في اجتماعكم ومذاكرتم إحياءنا، و خير الناس بعدنا من ذاكر بأمرنا ودعا إلى ذكرنا))[٣]، ((ما قال فينا قائلٌ بيتاً من الشعر حتى يؤيّد بروح القدس))[٤]، ((حبّبونا الى الناس ولا تبغضونا إليهم ...))[٥]، ((نفس المهموم لظلمنا تسبيح وهمّه لنا عبادة...)) ثم قال عليه السلام: ((يجب أن يكتب هذا الحديث بماء الذهب))[٦].

---

(١) الوسائل ١٦: ٣٤٥، ح١، الباب ٢٣ من أبواب المعروف.

(٢) الوسائل ١٦: ٣٤٦، ح٣، الباب ٢٣ من أبواب المعروف.

(٣) المصدر السابق: ٣٤٨، ح١٠.

(٤) الوسائل ١٤: ٥٩٧ ح٢، الباب (١٠٥) من أبواب المزار.

(٥) الوسائل ١٢: ٨ ح٨، الباب ١ من أبواب أحكام العشرة من كتاب الحج.

(٦) بحار الأنوار ٢: ١٤٧، ح١٦ عن أمالي المفيد.

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: ((من جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب))[١]، ((ما قال فينا مؤمنٌ شعراً يمدحنا به، إلاّ بني الله لـه مدينة في الجنّة أوسع من الدنيا سبع مرات يزوره فيها كل ملك مقرّب وكل نبيّ مرسل))[٢].

وعن الإمام العسكري عليه السلام قال: ((... جروا إلينا كل مودة وادفعوا عنّا كل قبيح فإنّه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك...))[٣].

تذاكر فضائلهم يحيي القلوب ويحبب لها الإيمان :

تبين النصوص الشريفة المتقدّمة مجموعة من المصاديق المباركة للتوسل إلى الله جل جلاله بخاصته المقرّبين أهل بيت النبوة عليهم السلام يجمعها محور مشترك هو ذكرهم عليهم السلام سواءً على المستوى الفردي أو المستوى الاجتماعي، أو بالذكر القلبي الخفي أو العلني، وذكرهم تعظيم لأعظم شعائر الله وكبرى آياته جل وعلا؛ يرسخ التقوى

---

(١) الوسائل ١٤: ٥٠٢ ح٤، الباب ٦٦ من أبواب المزار.

(٢) الوسائل ١٤: ٥٩٨ ح٣، الباب (١٠٥).

(٣) تحف العقول: ٣٦٧.

القلبية الصادقة ويكشف عنها، ويثبّت قلوب المؤمنين وطالبي قرب الله ـ جل جلاله ـ على الإستقامة في السير على الصراط المستقيم بل وتجذب إليه قلوب الجاهلين به أو الغافلين عنه وبالتالي البعيدين من سلوكه فتحبّب إليهم الإيمان المجسّد بأهل بيت النبوّة ـ صلوات الله عليهم ـ، وتبعث في قلوبهم الحبّ الفطري لهم عليهم السلام والذي عرفنا سابقاً أنّه من أعظم مصاديق التوسل بهم إلى الله جل جلاله.

دوام ذكرهم عبادة متواصلة :

وتعرّفنا الأحاديث الشريفة المتقدّمة ونظائرها التي حفلت بها الجاميع الحديثية وكتب الفضائل والمناقب بآثار أُخرى مباركة للتوسل إلى الله بهم عليهم السلام. بدوام ذكرهم، فهو شفاءٌ للصدور لا أشفى منه شيءٌ ـ بعد القرآن ـ لأمراض القلوب الحاجبة للعبد عن مولاه الحقّ جل وعلا والمبعدة لـه عن الجوار الإلهي العزيز ومقامات قربه في الدنيا والآخرة، وبالتالي فهو وسيلة لحياة القلوب وتحصينها من الموت يوم تموت القلب، وهو سبب لأن يكون المتوسل

إلى الله بذلك في عبادة دائمة فتكون أنفاسه تسبيح وهمّه عبادة لأنّ ذكرهم ذكر لله جل جلاله، فهو لذلك وسيلة لجذب الملائكة وعونهم لـه واستغفارهم لـه بل والفوز بتأييد عظيم الملائكة ((روح القدس)) لـه، ووسيلة لتطهير الجوارح التي يستخدمها في هذا التوسل من الذنوب وتحويلها إلى جوارح إلهية؛ كما أنّ هذا الباب في التوسل مفتاح الفوز بأعلى مقاعد الصدق الخاصّة بالآمنين يوم القيامة والحظوة بكرامة زيارة الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين للمتوسل بهذه الوسيلة تكريماً له وإجلالاً لمقامه.

التوسل إلى الله تعالى بإحياء أمر أوليائه المقرّبين صلوات الله عليهم سبب للفوز بضمانات منهم عليهم السلام بنجاة المتوسل وإنقاذه وبطلبهم من الله الرحمات الخاصة لهم التي تنقله إلى مراتب خير الناس بعدهم ـ صلوات الله عليهم ـ وذلك هو الفوز العظيم.

وتصرّح الأحاديث الشريفة بأنّ التوسل إلى الله بذكرهم ـ سلام الله عليهم ـ يشمل مختلف مظاهر الذكر، مثل إقامة مجالس ذكر تعاليمهم وفضائلهم ومناقبهم أو مجالس العزاء على مصابهم

ومظلوميتهم والخدمة فيها والتواضع لهم في ذلك، أو كتابة أحاديثهم ومناقبهم ونشرها بين الناس ودعوة الناس إليهم وتحبيبهم لهم والدفاع عنهم وإنشاء الشعر في مدحهم أو في ذكر مصائبهم والبكاء والإبكاء وحمل همهم في الخلوة والجلوة. وكلّها مصاديق مباركة تشهد تجارب المؤمنين والأولياء بعظمة بركاتها في قضاء الحاجات بمختلف أقسامها.(١)

٨ ـ التوسل إلى الله بالاستشفاع بهم في الملمات :

قال الله في قرآنه الكريم:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۞ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾(٢)،

---

(١) ينقل آية الله الشيخ العارف نجابت الشيرازي أنّ استاذه السلوكي آية الله السيد علي القاضي كانت لـه حاجةٌ مهمة لم تفتح لـه أبـواب الفرج بالصورة المطلوبة بشأنها رغم أنّه طرق كل باب من أجل ذلك، حتى نظم قصيدةً عصماء في مدح أمير المؤمنين عليه السلام توسّلاً لما يطلبه فتحقق لـه ما يطلب بفضل الله وبأفضل مما كـان يأمل ببركة هذا التوسل، (كتاب أسوة عارفان بالفارسية).

(٢) سورة الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٨.

﴿وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[١]، ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾[٢]، ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾[٣]، ﴿ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ۞ . . . تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ۞ قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٤].

---

(١) سبأ: ٢٣.

(٢) مريم: ٨٧.

(٣) الأعراف: ١٣٤.

(٤) يوسف: ٨٨ و٩١ و٩٢.

دعاء الله بحقهم مضمون الإجابة والفلاح :

وقال الله في المروي من الأحاديث القدسية:

((... حتمتُ على نفسي أن لا يسألني عبدٌ بحقّ محمّد وأهل بيته إلاّ غفرت لـه ما كان بيني وبينه...))[١].

((يا عبادي، أو ليس مَن لـه إليكم حوائج كبار لا تجودون بها إلاّ أن يتحمّل عليكم بأحبّ الخلق إليكم تقضونها كرامةً لشفيعهم؟ ألا فاعلموا أنّ أكرم الخلق عليَّ وأفضلهم لديّ محمدٌ وأخوه علي ومن بعده الأئمة الذين هم الوسائل إلى الله، فليدعني من همّته حاجة يريد نفعها، أو دهمته داهية يريد كشف ضرّها بمحمدٍ وآله الطيّبين الطاهرين أقضها لـه أحسن ما يقضيها من تستشفعون لـه بأعز الخلق إليه))[٢]، ((ما توجّه إليّ أحد من خلقي أحبّ إليّ من داعٍ دعاني يسأل بحقّ محمّد وأهل بيته))[٣].

---

(١) البحار ٢٧: ٣١٢ ح٥ عن أمالي المفيد، وكذلك الوسائل ٧: ٩٨، ح٢، البـاب ٣٧ مـن أبواب الدعاء من كتاب الصلاة، عن معاني الأخبار والخصال.

(٢) الوسائل ٧: ١٠١، ح٨ عن عدة الداعي لابن فهد.

(٣) البحار ٢٤: ١ عن كنز الفوائد.

وفي احتجاج الطبرسي مسنداً عن الإمام العسكري عن آبائه، عن رسول الله ﷺ قال ـ في حديث ـ :((إنّ الله عزّ وجلّ قال لآدم عليه السلام: أنت عصيتني بأكل الشجرة فعظّمني بالتواضع لمحمّد وآل محمّد تفلح كل الفلاح، وتزول عنك وصمة الزلّة، فادعني بمحمدٍ وآله الطيّبين لذلك. فدعاه بهم فأفلح كلّ الفلاح))[١].

التوجّه بهم عليهم السلام إلى الله :

وروى الترمذي وابن ماجة وابن حنبل والحاكم والنسائي وابن خزيمة والطبراني من عدّة طرق صحّحوا أسانيدها، عن عثمان بن حنيف: ((أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ـ صلّى الله عليه ـ [وآله] وسلّم ـ فقال: أدع الله أن يعافيني. قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خيرٌ لك. قال: فادعه. فأمره أن يتوضّأ فيحسن وضوءه ويدعوه بهذا الدعاء: اللّهم إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبي الرحمة. يا محمّد إنّي توجّهت بك إلى ربّي في حاجتي هذه

(١) الوسائل ٧: ١٠٢، ح١١ عن الإحتجاج.

لتقضى لي. اللّهم فشفّعه فيّ))[1].

وعنه ﷺ قال: ((... يا جابر إذا أردت أن تدعو الله فيستجيب لك فادعه بأسمائهم [أهل بيته عليهم السلام] فإنّها أحبّ الأسماء إلى الله عزّ وجلّ))[2].

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: ((أنا مع رسول الله ومعي عترته على الحوض، فمن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل بعملنا، فإنّ لكلّ أهل بيت نجيب [نجيباً خ ل] ولنا شفاعة ولأهل مودّتنا شفاعة، فتنافسوا في لقائنا على الحوض فإنّا نذود عنه أعداءنا ونسقي منه أحبّاءنا وأولياءنا ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً...))[3].

خير الوفادة على الله بالتوجه إليه بهم :

وفي أدعية الصحيفة السجادية: ((اللّهم فإنّي أتقرّب إليك بالمحمدية الرفيعة والعلوية البيضاء وأتوجّه إليك بهما أن تعيذني من شرّ كذا وكذا ... أسألك بحقّ نبيّك محمّد ﷺ وأتوسّل إليك

---

(١) العقائد الإسلامية ٤: ٢٨٩ـ٢٩١.

(٢) مستدرك الوسائل ١: ٣٧١ ح١ الباب ٣٥، عن اختصاص المفيد.

(٣) بحار الأنوار ٨: ١٩، ح٩ عن الخصال للصدوق.

بالأئمة الذين اخترتهم بسّرك ... وأتوسّل إليك في موقفي اليوم أن تجعلني من خيار وفدك... إنّي أسألك بك فليس كمثلك شيءٌ وأتوجّه إليك بمحمدٍ نبي الرحمة وبعترته الطيبين...))[١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: ((من دعا الله بنا أفلح، ومن دعاه بغيرنا هلك واستهلك))[٢]، ((إذا أردت أمراً أن تسأله ربك، فتوضّأ وأحسن الوضوء ثم صلّ ركعتين وعظّم الله وصلّ على النبي صلى الله عليه وآله، وقل بعد التسليم: اللّهم إنّي أسألك بأنك ملك، وأنك على كل شيءٍ مقتدر، وبأنك ما تشاء من أمر يكون، اللّهم إنّي أتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبي الرحمة. يا محمّد، يا رسول الله! إني أتوجّه بك إلى الله ربك وربي لينجح لي طلبتي. اللّهم بنبيّك أنجح لي طلبتي بمحمدٍ... ثم سل حاجتك))[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((أكثر ما يلحّ به في الدعاء على الله بحقّ الخمسة...))[٤].

---

(١) العقائد الإسلامية ٤: ٣٦٣، ٣٦٩.

(٢) الوسائل ٧: ١٠٢، ح١٢ الباب ٣٧ عن أمالي الطوسي، بحار الأنوار ٢٣: ١٠٢.

(٣) الكافي ٣: ٤٧٨، تهذيب الأحكام ٣: ٣١٣.

(٤) الوسائل ٧: ٩٧، ح١، الباب ٣٧: عن الكافي.

الفزع إليهم ﷺ والاستعانة بهم على الشدائد :

وفي الكافي مسنداً عن عبد الرحيم القصير قال: دخلت على أبي عبد الله [الصادق ﷺ] فقلت: جعلت فداك إنّي اخترعت دعاءً، قال. ((دعني من اختراعك، إذا نزل بك أمرٌ فافزع إلى رسول الله وصلِّ ركعتين تهديهما إلى رسول الله ﷺ...)).

ثم علّم ﷺ الراوي كيفية الصلاة والدعاء بعدها ثم قال: ((فأنا الضامن على الله عزّ وجلّ أن لا يبرح [مكانه] حتى تقضى حاجته))(١).

وعن الإمام الكاظم ﷺ: ((من كانت له إلى الله حاجة وأراد أن يرانا وأن يعرف موضعه [من الله]، فليغتسل ثلاث ليالٍ يناجي بنا، فإنه يرانا ويغفر له بنا ولا يخفى عليه موضعه...))(٢).

---

(١) الكافي٣: ٤٧٧.

(٢) البحار ٢٦: ٢٥٦، ح٣٢، عن الاختصاص.

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: ((إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بنا على الله عزّ وجلّ، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّـهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[1] [2].

الاستشفاع إلى الله بوسائط فيضه وعباده المكرمين :

تندبنا النصوص الشريفة المتقدّمة إلى واحدة من أعظم أبواب التوسّل إلى الله جل جلاله لقضاء مختلف أشكال الحاجات الدنيوية والأُخروية، وأوسع أبواب الفوز بالنجاة في الملمّات ومما يخاف منه والحصول على خير ما يرجى، ألا وهو وسيلة الاستشفاع إلى الله بأحبّ الخلق إليه ـ صلوات الله عليهم ـ وبكرامتهم عليه، لاستجابة الدعوات والتوجه بهم إليه لنيل ما يرجوه الداعي أو دفع

---

(١) الأعراف: ١٨٠، والأدلة البرهانية والنقلية صريحة في إثبات كونهم ـ المصاديق التكوينية لأسماء الله الحسنى، لأنهم أكمل الموجودات وأتمها في التعريف بصفاته العليا جل جلاله وهذا هو معنى الإسم الذي هو المعرّف للمسمّى الدال عليه راجع في هذا الباب وفي معنى دعوة الله جل جلاله بهم ـ مقالة ((حقيقة الأسماء الحسنى وآثار الدعوة بها)) المنشورة في العدد (٢٧) من مجلة الفكر الإسلامي.

(٢) مستدرك الوسائل ١: ٣٧١، ح٢، الباب ٣٥ من أبواب الدعاء من كتاب الصلاة.

ما يحذر منه، والتماسهم الدعاء لـه من الله جل جلاله.

الآيات الكريمة المتقدّمة تنير لنا طريق الهداية لمعرفة من نتوسل بهم ـ من هذا الباب ـ إلى الله جل وعلا، وأسمى مصاديقهم هم أهل بيت النبوة ـ صلوات الله عليهم ـ، فهم صفوة خلقه وخيرة عباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول ويعملون بأمره ويأخذون بأيدي من ارتضاه من عباده لدار كرامته وجواره فيوصلونه إليه بأمره وبإذنه، فهي تبيّن بذلك أنّ وسيلة الاستشفاع سبب طبيعي لا غنى عنه لأنّهم ـصلوات الله عليهمـ: ((وسائط فيوض الله تعالى في هذه النشأة والنشأة الأُخرى، إذ هم القابلون للفيوض الإلهية والرحمات القدسية وبتلطفهم تفيض الرحمة على سائر الموجودات، وهذه هي الحكمة في لزوم الصلاة عليهم والتوسل بهم في كل حاجة، لأنّه إذا صلّى عليهم لا يرد، لأنّ المبدأ فيّاض والمحل قابل، وببركتهم تفيض على الداعي...))[1]، أي أن الداعي مستقلاً لا يكون محلاً قابلاً مستعداً لتلقّي الفيض الإلهي الذي يطلبه؛ وهذا ما

---

(١) رسالة الإعتقادات والسير والسلوك إلى الله، العلامة المجلسي: ١٤ـ١٥،طبعة مكتبة العلامة المجلسي، أصفهان ـ إيران.

دلّت البراهين العقلية كما أشرنا ونصّت عليه الكثير من النصوص الشرعية كما رأينا.

الاستشفاع حالة فطرية :

من هنا فإنّ الآيات الكريمة المتقدّمة المتحدثة عن قصص موسى و يوسف على نبيّنا وآله وعليهما السلام تشير إلى أنّ الاستشفاع بالمقرّبين من الله جل جلاله حالة فطرية يلجأ إليها كل إنسان عندما تتقطع به الأسباب، فيضطر إليها وتلم بهم الملمّات، قوم فرعون الوثنيون أو أبناء يعقوب الموحّدون الذين أدركوا أنّ الله آثر يوسف الصدّيق عليهم لأنّهم كانوا خاطئين: وفي آيات طلب الإستغفار من الأنبياء وخاتمهم عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام والتي تقدم الحديث منها ما يشهد على هذه الحقيقة بوضوح.

على أنّ من أفظع الغفلة أن يطلب المؤمن الدعاء له من إخوانه ـ وهذه وسيلة محمودة ومباركة أيضاً ـ لكنه يغفل من طلب الدعاء من سادة المؤمنين سلام الله عليهم ووسيلتهم الأنفذ والأقرب أعاذنا الله وإياكم من مثل هذه الغفلة، ومن الغفلة عن حقيقة أنّ «النفوس المقدّسة الطيّبة الطاهرة للأولياء الحقيقيّين ـ سلام الله

عليهم ـ عندما فارقت الأبدان الجسمانية واتّصلت بعالم القدس والمجرّدات، فإنّ سيطرتهم وإحاطتهم بهذا العالم أصبحت أقوى وتصرفهم فيه أشمل واطلاعهم على زائريهم أتم وأكمل، فهم ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾[١]: فيصل نسيم ألطافهم ورشحات أنوارهم إلى قاصديهم وزوّارهم خصوصاً للخلّص منهم))[٢].

المستشفع بهم أحبّ خلق الله بعدهم إليه :

فكم هو مبينٌ خسران الذي ينكر جدوى طلب الدعاء منهم ـ صلوات الله عليهم ـ بعد انتهاء حياتهم الظاهرية في هذه الدنيا وكم هو مبينٌ خسران من لا ينكر ذلك لكنّه يغفل عنه، والنصوص الشريفة المتقدّمة ونظائرها كثيرة مبثوثة في أوثق المجاميع الحديثية المعتبرة وكتب العبادات المعتمدة، تصرّح بأنّ الله ـ جلّت حكمته وعظمت نعمه ـ قد حتّم على نفسه أن لا يردّ دعاء من يسأله بهم ـ صلوات الله عليهم ـ بل ويدعو عباده إلى أن يدعوه في كبار

---

(١) آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٢) تذكرة المتقين: ٦٢ من رسالة في آداب الزيارة لآية الله الشيخ البهاري.

حوائجهم ـ فضلاً عن صغائرها ـ بأحبّ الخلق إليه وأكرمهم عليه وأعزّهم إليه، ويعد ـ وهو الصادق الوعد ـ بقضائها بأحسن ما تقضى الحاجات، بل ويقول: بأنّ أحبّ خلقه إليه ـ بعدهم صلواته المتواترة عليهم ـ هو الذي يدعوه بهم.

الاستشفاع بهم للتطهّر واستئناف العمل:

النصوص الشريفة المتقدّمة تصرّح بأنّ التوجّه إلى الله بهم ـ صلوات الله عليهم ـ سبب للفلاح كل الفلاح والخلاص من أرجاس الزلّات والتطهّر منها في حين أنّ الدعاء بغيرهم هلاك واستهلاك، وأنّ الاستشفاع بهم لقضاء الحاجات وسيله لأن يراهم المتوسل بهم ويعرف موضعه من الله، فيغفر الله له بهم وهم الضامنون على الله عزّ وجلّ ذلك؛ روى الشيخ شاذان بن جبرئيل القمي في كتاب الفضائل أنّ ((الإمام الصادق عليه السلام كان جالساً في الحرم في مقام إبراهيم عليه السلام فجاء رجلٌ شيخ كبير قد فنى عمره في المعصية، فنظر إلى الصادق عليه السلام فقال: نعم الشفيع إلى الله للمذنبين. فأخذ بأستار الكعبة وأنشأ يقول:

بحــق جلالــك يــا وليّــي	بحــق الهــاشمي الأبطحــيّ
بحــق الــذكر إذ يــوحى إليــه	بحــق وصــيه البطــل الكمــي
بحــق الطــاهرين إبــني علــي	وأُمّهمــا إبنــة البرالزكــي
بحــق أئمــة ســلفوا جميعــاً	علــى منهــاج جــدهم الــنبي
بحــق القــائم المهــدي إلاَّ	غفــرت خطيئــة العبــد المســيء

قال: فسمع هاتفاً يقول: يا شيخ كان ذنبك عظيماً ولكن غفر لك جميع ذنوبك بحرمة شفعائك، فلو سألتنا ذنوب أهل الأرض لغفرنا لهم غير عاقر الناقة وقتلة الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام))[1].

كمال الاستشفاع بهم إلى الله :

ولا يخفى أنّ كمال الاستشفاع بهم في الدنيا هو ما يكون مفتاحاً لكي يأخذ المستشفع بهم بقولهم وعملهم ـ صلوات الله عليهم ـ ويتنافس في العمل بها ـ لكي يصبح بذلك من أحبّائهم فيفوز بشفاعتهم الكبرى في الآخرة ويلقاهم عند حوضهم الطهور

(١) مستدرك الوسائل ١: ٣٧٩، ح٦، الباب ٣٥ من أبواب الدعاء من كتاب الصلاة.

الذي لا يظمأ أبداً من يشرب منه شربة، وهذه الحقيقة ينبّه لها بصراحة حديث أمير المؤمنين عليه السلام المتقدّم. وإن كان المخلص الصادق في التوجّه بهم إلى الله لمختلف الحاجات لا يحرم من الإستجابة الظاهرية أو ادخار الثواب العظيم له على توجهه للآخرة إذ لم يكن صلاحه في قضاء ما يريد.

٩ـ التوسّل بهم إلى الله لإكمال صالحات الأعمال :

ولعلّ من أسمى مصاديق التوسل بالتوجّه بهم إلى الله هو الاستعانة بهم ـ صلوات الله عليهم ـ لإكمال صالحات الأعمال وإزالة نقائصها وموانع القبول عنها وتأهيلها بذلك لكي تكون مقبولةً عند الله عزّ وجلّ فيحصل المتوسل على ثمار وبركات قبولها. وهذا ما حثّت عليه الأحاديث الشريفة، فمثلاً:

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان يقول: ((من قال هذا القول كان مع محمّد وآل محمّد إذا قام قبل أن يستفتح الصلاة:

اللّهم إنّي أتوجّه إليك بمحمّدٍ وآل محمّد وأقدّمهم بين يدي صلاتي، وأتقرّب بهم إليك فاجعلني بهم وجيهاً في الدنيا والآخرة

ومن المقرّبين، مننت عليّ بمعرفتهم فاختم لي بطاعتهم ومعرفتهم وولايتهم فإنّها السعادة واختم لي بها، فإنّك على كلّ شيءٍ قدير ثم تصلّي فإذا انصرفت قلت:

اللّهم اجعلني مع محمّد وآل محمّد في كل عافية وبلاء، واجعلني مع محمّد وآل محمّد في كلّ مثوىً ومنقلب، اللّهم اجعل محياي محياهم ومماتي مماتهم، واجعلني معهم في المواطن كلّها، ولا تفرّق بيني وبينهم إنّك على كلّ شيءٍ قدير))[١]. وفي رواية أُخرى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((إذا قمت للصلاة فقل: اللّهم إنّي أقدّم إليك محمّداً ﷺ بين يدي حاجتي، وأتوجه به إليك، فاجعلني به وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين، واجعل صلاتي به مقبولة وذنبي به مغفوراً ودعائي به مستجاباً إنّك أنت الغفور الرحيم))[٢].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((إذا أردت أن تقوم إلى صلاة الليل فقل: اللّهم إنّي أتوجّه إليك بنبيّك نبي الرحمة وآله، وأقدّمهم بين يدي حوائجي، فاجعلني بهم وجيهاً في الدنيا والآخرة

---

(١) الوسائل ٥: ٥٠٨، ح٢، الباب ١٥، من أبواب القيام من كتاب الصلاة عن الكافي.

(٢) المصدر السابق: ٥٠٩، ح٣ عن التهذيب والكافي ومن لا يحضره الفقيه.

ومن المقرّبين اللّهم ارحمني بهم و لا تعذّبني بهم واهدني بهم ولا تظلّني بهم، وارزقني بهم ولا تحرمني بهم، واقض لي حوائجي للدنيا والآخرة إنّك على كلّ شيء قدير وبكلّ شيء عليم))[١].

تدارك الخلل في الأعمال بالتوسّل بهم عليهم السلام:

وروي في الكافي ومن لا يحضره الفقيه وتهذيب الأحكام مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((تقول في سجدتي السهو: بسم الله وبالله وصلّى الله على محمّد وآل محمّد، قال [الراوي]: وسمعته مرةً يقول [فيهما ـ خ]: بسم الله وبالله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته))[٢].

هذه نماذج للتوسّل بهم ـ صلوات الله عليهم ـ لإكمال صالحات الأعمال من الفرائض (الصلاة الواجبة) والنوافل (صلاة الليل) والنموذج الثالث لمعالجة الخلل الذي يقع في العبادات فجعل الله

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ٤٨٣.

(٢) الوسائل ٨: ٢٣٤ ح١، الباب٢٠ من أبواب الخلل في الصلاة، ومستدرك الوسائل ١: ٤٨٢ عن فقه الرضا عليه السلام.

ـ جلّت حكمته ـ الصلاة عليهم والتسليم على سيّدهم ﷺ سبباً لتدارك موارد السهو التي يقع فيها المتعبد لـه تبارك وتعالى.

١٠ـ التوسّل إلى الله تعالى بدوام التقرّب بهم عليهم السلام في كلّ الأحوال :

قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ**﴾[١]، ﴿... **إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ**﴾[٢].

وروي في الكافي مسنداً عن ابن بكير قال: ((... كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فأطعمنا، ثم رفعنا أيدينا فقلنا:

الحمد لله، فقال أبو عبد الله عليه السلام: اللّهم هذا منك ومن محمّد رسولك، اللّهم لك الحمد، صلّ على محمّد وآل محمّد))[٣].

---

(١) التوبة: ٥٩.

(٢) التوبة: ٧٤.

(٣) الكافي ٦: ٢٩٨ ح٢٢.

وفي كتاب كنز الفوائد للكراجكي ذكر: ((أنّ أبا حنيفة أكل طعاماً مع الإمام الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام فلما رفع يده عليه السلام من أكله قال: الحمد لله رب العالمين. اللّهم إنّ هذا منك ومن رسولك. فقال أبو حنيفة: يا أبا عبد الله أجعلت مع الله شريكاً؟ فقال له: ويلك إنّ الله تعالى يقول في كتابه ﴿**وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ ويقول في موضع آخر: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ**﴾. فقال أبو حنيفة: والله كأنّي ما قرأتهما قط من كتاب الله ولا سمعتهما إلاّ في هذا الوقت...))[1].

التوسّل بهم كلّما ذكر الله وفي كلّ المواطن :

وفي الكافي مسنداً عن الإمام الباقر عليه السلام ((أنّ رجلاً عطس عنده فقال: الحمد لله. فلم يسمّته أبو جعفر عليه السلام وقال: ((نقصنا حقّنا، وقال: إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله رب العالمين وصلّى

---

(١) البحار ٤٧: ٢٤٠، ح٢٥ والآيتان في سورة التوبة ٥٩، ٧٤.

الله على محمّد وأهل بيته، قال [الراوي]: فقال الرجل، فسمّته أبو جعفر (عليه السلام))[1].

وفيه مسنداً عن جابر قال: ((قال أبو جعفر (عليه السلام): نعم الشيء العطسة تنفع في الجسد وتذكر بالله عزّ وجلّ. قلت: إن عندنا قوماً يقولون: ليس لرسول الله ﷺ في العطسة نصيب، فقال: إنّ كانوا كاذبين فلا نالهم شفاعة محمّد ﷺ))[2].

وفيه مسنداً عن الفضيل بن يسار قال:((قلت لأبي جعفر (عليه السلام): إنّ الناس يكرهون الصلاة على محمّد وآله في ثلاثة مواطن: عند العطسة، وعند الذبيحة، وعند الجماع، فقال أبو جعفر (عليه السلام): ما لهم ويلهم؟ نافقوا لعنهم الله))[3].

---

(١) الوسائل ١٢: ٩٤، ح١، الباب ٦٣ من أبواب أحكام العشرة.

(٢) المصدر السابق: ٩٤ـ٩٥، ح٣، ومعنى قولهم هو أن العطسة تذكر بالله فقط وهذا ما أنكره الإمام (عليه السلام).

(٣) الوسائل ١٢: ٩٥ ، ح١، الباب ٦٤، ويبدو من هذا الحديث والحديث السابق له أن الإمام (عليه السلام) كان يواجه تياراً ظهر يومذاك في الوسط الشيعي كان يسعى تدريجاً ←

وفيه مسنداً عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان قال: ((دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فقال لي: ما معنى قوله ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[١]؟ فقلت: كلّما ذكر اسم ربّه قام فصلّى. فقال لي: لقد كلّف الله عزّ وجلّ هذا شططا! فقلت: جعلت فداك، وكيف هو؟ قال: كلما ذكر اسم ربّه صلّى على محمّد وآله))[٢].

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام مسنداً عنه عليه السلام قال في كتابه للمأمون: ((والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله واجبة في كل موطن وعند العطاس والذبائح وغير ذلك))[٣].

للفصل بين الله ورسوله وآله عليهم السلام وتحديد مجالات التوسل بهم إلى الله عزّ وجلّ وواضح أن حكم الإمام عليه السلام بنفاقهم وحرمانهم من الشفاعة المحمدية مبني على العلم بأن مواقفهم هذه ناتجة من سوء النية وليس على الجهل. وعلى أي حال فالمستفاد من الأحاديث المتقدمة هو الندب إلى التوسل بهم عليهم السلام في كل الأحوال.

(١) الأعلى: ١٥.

(٢) الوسائل ٧: ٢٠١ ح١، الباب ٤١ من أبواب الذكر.

(٣) الوسائل ٧: ٢٠٣، ح٨ الباب ٤٢، من أبواب الذكر.

وفي مشكاة الأنوار قال: ((عطس رجلٌ عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: الحمد لله والسلام على رسوله الله ﷺ فقال أبو عبد الله عليه السلام: هذا حقّ الله أدّيت، وهذا حقّ رسول الله ﷺ فأين حقّنا؟))[١].

وفي مكارم الأخلاق للطبرسي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((إذا عطس الإنسان فقال: الحمد لله. قال الملكان الموكّلان به: ربّ العالمين كثيراً لا شريك له. فإن قالها العبد، قال الملكان: صلّى الله على محمّد، فإنّ قالها العبد، قالا: وعلى آل محمّد، فإن قالها العبد قال الملكان: رحمك الله))[٢].

وعن الحميري مسنداً عن حكيمة بنت الكاظم عليه السلام في حديث ولادة الإمام الجواد عليه السلام قالت: ((فلمّا كان اليوم الثالث عطس وقال: الحمد لله وصلّى الله على محمّد وعلى الأئمة الراشدين))[٣].

وفي كتاب إثبات الوصيّة للمسعودي في خبر مسندٍ عن ولادة

---

(١) مستدرك الوسائل ٨: ٣٨٢، ح٥ الباب ٤٨ من أبواب أحكام العشرة.

(٢) مستدرك الوسائل ٨: ٣٨٩، ح٤، الباب ٥٣ من أبواب أحكام العشرة.

(٣) المصدر السابق ح٣.

صاحب الزمان عليه السلام جاء: ((لمّا خرج صاحب الزمان عليه السلام من بطن أُمّه سقط جاثياً على ركبتيه رافعاً سبابته نحو السماء ثم عطس فقال: الحمد لله ربِّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله، عبدٌ داخرٌ لله غير مستنكفٍ ولا مستكبر))[1].

الإقرار بأنهم مجاري النعم الإلهية :

تنبّهنا هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المتقدّمة ونظائرها كثيرة في الجاميع الروائية إلى أهمّ مصاديق التوسل إلى الله بأحبِّ الخلق إليه محمّد وآله صلوات الله عليهم أجمعين، وهو دوام الاستشعار والإقرار والتوجّه لحقيقة كونهم عليهم السلام وسيلة الإنسان إلى ربّه جلّ وعلا من جهة ووسيلة جريان البركات الإلهية إلى العباد من جهة ثانية، وهذا الاستشعار والإقرار دافع قوي لدوام التوسل بهم إلى الله بجميع مصاديق التوسّل المتقدّم ذكرها.

آيتا سورة التوبة تذكرنا بهذه الحقيقة بنسبة هذه البركات والنعم إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله، والأحاديث الشريفة تدعو المؤمنين إلى

---

(١) المصدر نفسه ح٢.

التجسيد العملي لهذه الحقيقة بالتوسل إلى الله عزّ وجلّ بهم عليهم السلام في شؤونهم الحياتية اليومية فيأمر الإمام الصادق عليه السلام بحمد الله والصلاة على النبي وآله عند الانتهاء من تناول الطعام مع الإقرار بأنّ هذه النعمة من الله ورسوله ﷺ، وهذا ما تصرّح به الكثير من الأحاديث الشريفة نظير المروي عن الإمام السجاد عليه السلام: ((يا أبا حمزة لا تنامنّ قبل طلوع الشمس، فإنّي أكرهها لك، إنّ الله يقسم في ذلك الوقت أرزاق العباد وعلى أيدينا يجريها))[١]، وفي التدبّر في دلالات سورة القدر المباركة أكبر دليل على ذلك.[٢]

التوسل بهم عباداته لله بعبادتهم عليهم السلام والانضمام لهم:

النصوص المتقدّمة تدعونا إلى التوسل إلى الله تعالى بهم عليهم السلام كلّما ذكر الله لأنّه لا طريقة إليه جل وعلا إلاّ عبر التوسل بهم والأخذ عنهم، ولا طريق لأن يكون الإنسان ((عبداً داخراً لله غير

---

(١) بحار الأنوار ٤٦: ٢٣ ح٥ عن البصائر.

(٢) راجع بحث العلامة الطباطبائي في تفسير هذه السورة المباركة في الجزء العشرين من تفسيره القيم ((الميزان)).

مستنكفٍ ولا مستكبر» إلاّ بالتوجّه إليه تعالى بهم وعدم الاستكبار عن أمره التعبدي بالخضوع والرجوع إليهم ـ صلوات الله عليهم ـ وبذلك يتخلص الإنسان من النفاق في عمله ـ أي من ادعاء الإيمان بالله وعبوديته في الظاهر والإستكبار عن إطاعة أمره بالخضوع والتوسل إليه بأحبّ خلقه إليه ـ، ويتخلّص من الحرمان من الشفاعة المحمّدية ويحظى بالرحمة الإلهية الخاصة عندما يستجيب لدعوات ملائكة الخير بالتوسل إلى الله بهم عليهم السلام كما يشير لذلك الإمام الصادق عليه السلام في حديث مكارم الأخلاق المتقدم؛ ويحظى بكرامة أداء حقهم بالتوسل بهم والصلاة عليهم في كل المواطن ليكون معهم في كل حركاته وسكناته مقتدياً بهم سالكاً صراطهم المستقيم مجاوراً لهم في مقاعد الصدق في الجوار الإلهي في الدنيا والآخرة. وفي ذلك الفوز العظيم، وفقنا الله جميعاً لذلك بحق محمّد وآله الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرست

القسم الأول:

بركات ومصاديق التوسل إلى الله بمحمد وآله ﷺ

القسم الثاني:

بركات ومصاديق التوسل إلى الله بمحمد وآله ﷺ